جامعة بسكرة
كلية الآداب واللغات _ قسم الآداب واللغة العربية
محاضرات في علوم القرآن للسنة الأولى ليسانس 2023/ 3024
المحاضرة الأولى: تعريفات:

تعريف علوم القرآن: علوم القرآن هي مجموعة من المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم و جوانب منه، ألف فيها الأئمة المتقدمون مؤلفات خاصة، من أقدمهم الإمام الشافعي[1] المتوفى سنة 204 هـ والأصمعي[2] المتوفى سنة 214 هـ وأبو حاتم السجستاني[3] المتوفى سنة 248 هـ ، ثم جمعت هذه المباحث تحت عنوان " علوم القرآن " ثم أصبح هذا العنوان عَلَمًا على عِلم بذاته، ومن أشهر المؤلفين فيه السيوطي المتوفى سنة 911 هـ صاحب كتاب " الإتقان في علوم القرآن"، وللمعاصرين من العلماء كتب عدة في علوم القرآن منها الموجز و منها المطول.

تعريف القرآن:* القرآن هو كلام الله المعجز ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته، ويقتضي هذا التعريف شرح بعض الأمور :

فقولنا " كلام الله " خرج بهذا كلام الجن والبشر والملائكة مهما كان فصيحا وبليغا ومعجزا.
وقولنا " المعجز " خرج بهذا القيد كلام الله الذي عبر عنه الرسول بلفظه .
وقولنا " المنزل على محمد " خرج بهذا ما نزل على الأنبياء السابقين .
وقولنا " المكتوب في المصاحف خرج به القرآن المنسوخ وما نزل بغير لغة قريش من الأحرف السبعة.

وقولنا "المنقول بالتواتر" يعني ما نقلته الجماعة المستفيضة عن الجماعة المستفيضة الذين يستحيل تواطؤهم (اتفاقهم) على الخطأ أو الكذب، ويقابل التواتر ما نقل عن طريق الآحاد.

قولنا "المتعبد بتلاوته " خرجت به الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية رغم أنها وحي.
* **أسماء القرآن الكريم:** لهذا الكتاب العظيم أسماء مشهورة هي : القرآن و الكتاب و الفرقان، وقد أورد العلماء عشرات الأسماء والصفات الأخرى.
القرآن : و يُنطق بهذه الكلمة على وجهين : مهموزة و غير مهموزة .
1. القرآن مهموزة : مصدر على وزن فعلان و فعل هذا المصدر هو (قرأ).
ولكلمة قرآن في اللغة أصل يعود إلى القرء وهو الجمع فيقال قرأت الشيء بمعنى جمعته، وسمي القرآن بهذا الاسم لأنه يجمع عددا من الآيات والسور والحكم والعلوم[4]...، وقيل معناه مصدري بمعنى القراءة كما في قوله تعالى: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" [القيامة/17، 18]، وله معنى آخر بأنه علم شخص على ذلك الكتاب الكريم كما في قوله تعالى : "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" [الإسراء/9]

2. القرآن غير مهموزة : وهناك ثلاث تخريجات لهذه الكلمة :
أحدها : أن تكون مسهلة من (القرآن)
ثانيها : أن ليست مأخوذة من شيء وبهذا قال الشافعي رضي الله عنه .
ثالثها : أنها مشتقة من (قرن) لاقتران السور و الآيات و الحروف فيه و بهذا قال الأشعري رحمه الله .
الكتاب : هو اسم أخر للقرآن ورد في عدد من الآيات الكريمة كما في قوله تعالى: " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" [البقرة/2]، وكلمة (الكتاب) مصدر (كتب يكتب) .
الفرقان : أما الفرقان فهو اسم للقرآن أيضا، و هو مصدر أطلق على القرآن فأضحى علما، وقد استعمل بهذا المعنى العَلَمي في قوله تعالى : " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" [الفرقان/1].

---

[1] محمد بن إدريس، من مؤلفاته: أحكام القرآن، الناسخ والمنسوخ، إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، عناية وكالة المعارف الجليلة، استنبول، 1955م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، (448/1).
[2] عبد الملك بن قريب، من مؤلفاته: كتاب غريب الحديث والقرآن، كتاب القلب والإبدال..، هدية العارفين (330/ا).
[3] سهل بن محمد بن عثمان، من مؤلفاته: اختلاف المصاحف، إعراب القرآن، كتاب الإدغام، كتاب القراءات..، هدية العارفين (215/1).
[4] ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، دت، مادة قرأ، ص 128/1.

* ذكر العلماء حكمة لتسمية القرآن الكريم بالقرآن والكتاب فقالوا سمي بذلك ليدل على وجوب حفظه مقروءا في الصدور ومكتوبا في السطور، ولو أن الأمة حفظته في جانب واحد لتعرض للتحريف والضياع.

الوحي. تعريفه لغة: قال ابن فارس في مقاييس اللغة: "الواو و الحاء و الحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك"[1]، إذن فمعنى الوحي في اللغة : الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوحى إليه بحيث يخفى على غيره، و يدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الإعلام و منها :
- الإلهام الغريزي كالوحي إلى النمل

_ ومنها إلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى .
- و منها وسوسة الشيطان - و منها الإشارة المفهمة.
الوحي في الشرع : هو تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة من طرق الوحي .
وصور الوحي هي :
1. أن يكون بالرؤيا الصادقة .
2. أن يكون بإلهام النبي في حالة اليقظة و إلقاء المعنى في قلبه من غير أن يرى الملك وتظهر عليه علامات يعرف من خلالها نزول الوحي عليه كالتعرق الشديد وثقل الجسم ..
3. أن يكون بتكليم النبي من وراء حجاب و بشكل مباشر ويسمع النبي الكلام .
4. ويكون بتكليم النبي بواسطة جبريل عليه السلام .

طرق الوحي: يأتي الوحي عن طريق جبريل عليه السلام والغالب ألا يُرى شكله وإنما تظهر علامات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم كالتعرق الشديد وثقل جسمه، وقد رُأي جبريل في صورته الحقيقية في أول نزول للقرآن وقد يأتي جبريل على صورة رجل كما في حديث عمر بن الخطاب عن الإيمان والإسلام والإحسان، كما تعتبر رؤيا الأنبياء شكلا من أشكال الوحي، جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا[2].

صدق ظاهرة الوحي: سجل القرآن الكريم شبهة أوردها كفار قريش حين زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى هذا الوحي من بعض العرب العارفين بأخبار الأمم السابقة، قال تعالى: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" [الفرقان/5]، وبتأمل القرآن الكريم نجد أجوبة كثيرة ودامغة لهذه الشبهة منها:

_ حدوث بعض المشكلات في مجتمع الصحابة تؤثر سلبا على حياتهم بما فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أحد الفصل فيها حتى نزول الوحي بعد أيام أو شهور كما نجده في قصة الإفك الشهيرة، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم قادرا على الإتيان بالفصل في هذه المشكلات لما تأخر كل تلك المدة، وكان يُسأل من طرف المشركين أسئلة تحدي وتعجيز فيظهر عجزه فيها ثم ينزل الوحي بالإجابة الشافية لتلك الأسئلة، وكانت تنزل عليه بعض الآيات تؤنبه على بعض تصرفاته وتكشف ما في نفسه من نوايا وأسرار، ولا يمكن لأي شخص في مقام دعوة الناس وجمعهم نحوه أن يفعل ذلك، كما في مضمون الوحي إخبار بقضايا من الغيب وقع صدقها بعد سنوات وهذا ملا يمكن للبشر أن يتكلموا بمثله..
الخلاصة : وخلاصة ما يمكن أن نذكره في ظاهرة الوحي ما يلي :
1. أنها حالة غير اختيارية .
2. وهي عارض غير عادي .
3. وهي قوة خارجية لأنها لا تتصل بنفس النبي صلى الله عليه وسلم إلا حينا بعد حين .

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط،1399ه/م1979، ص 70/6.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407ه/م1987، ص 4/1.

4. وهي قوة عالمة لأنها توحي إليه علما .
5. وهي قوة أعلى من قوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنها تحدث في نفسه و بدنه تلك الآثار العظيمة .
6. وهي قوة خيرة معصومة لأنها لا توحي إلا بالحق ولا تأمر إلا بالرشد .

المعجزة: لفظها مأخوذ من الإعجاز، وعجز فلان عن كذا عجزا إذا لم يقدر عليه ولم يقم به، وأعجزته إعجازا إذا جعلته يعجز وتقول أعجزني الشيء إذا فاتك ولم تقدر عليه، وكلها راجعة إلى أن العاجز عن الشيء هو الذي لا يتمكن من الشيء ولا يقدر عليه.

وفي الاصطلاح هي الأمر الخارق للعادة الخارج عن سنة الله المعتادة في خلقه، الذي يظهره الله على يد مُدّعي النبوة تصديقًا له في دعواه، مقرونًا بالتحدّي لأمته وسالما من المعارضة، فإذا عجزوا كان ذلك آية من الله- تعالى- على اختياره إيّاه ، وإرساله إليهم بشريعته.
شروطها سبع وهي: أن تكون من عند الله، وخارقة للعادة، ومعارضتها متعذرة، وأن تجرى بين يدي نبي من الأنبياء، وأن تتوافق مع ادعاء النبي، وألا تكذبه، وأن تكون بعد ادعائه[1].
الإعجاز في القرآن الكريم: في القرآن الكريم جوانب عديدة من الإعجاز لكن الجانب الذي تحدى به العرب في المقام الأول هو أسلوبه وما يتضمنه من فصاحة وبلاغة وجودة لفظ وحسن تركيب، أما الجوانب التعجيزية الأخرى فمنها الإعجاز التاريخي والغيبي والتشريعي والعلمي والعددي..
ولما كان أسلوب القرآن الكريم هو مدار الإعجاز الأول فإن الدارسين لهذا الأسلوب تعددت نظرياتهم حوله، منها ماكان محل اتفاق أو قبول ومنها ما كان محل معارضة ورفض، من هذه النظريات من رأى أن القرآن معجز بألفاظه فقط، فهي فصيحة جدا وخالية تماما من الركاكة والسماجة والنفور والغرابة كما يقع في ألفاظ البشر مهما كانوا من المبرزين في الخطابة والشعر، ومنهم من رأى بأن إعجاز القرآن كامن في معانيه فقط، وأما الألفاظ فهي ميسورة لكل الناس ولا جديد فيها، والصحيح الذي عليه اتفاق أهل السنة والجماعة أن القرآن معجز بألفاظه ومعانيه وعبروا عن ذلك بمصطلح "النظم" الذي كتب فيه عبد القاهر الجرجاني كتابين مبدعين[2] رد فيهما على القولين السابقين، ولعل أخطر نظرية ينبغي التنبيه إليها هي نظرية "الصرفة" التي تبناها جماعة من المعتزلة على رأسهم إبراهيم بن يسار النظام (ت231هـ)، حيث رأى أن العرب كان لهم من القدرة البلاغية ما يمكنهم من الإتيان بمثل القرآن الكريم إلا أن الله تعالى صرفهم عن ذلك ومنعهم منه بطريقة خفية لا يعلمها أحد.
وعلى هذا القول تهاطلت ردود أئمة المسلمين وعلمائهم حتى بلغ ببعضهم تكفير من يعتقد هذه العقيدة التي تؤول إلى أن الله تعالى تحدى العرب بالقرآن ثم لما كانوا قادرين على معارضته لجأ إلى حيلة تمنعهم من ذلك، وهذا لا يليق أن يوصف به الله تعالى صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى، وسيأتي في موضوع الإعجاز القرآني مزيد من الردود العلمية المفحمة على هذه النظرية.

النبي: النبي في اللغة : مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة، قال تعالى : { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ } (النبأ : 1 ، 2) . وسمي النبي نبيًّا لأنه مُخبرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخبَر ومُخبِرK وقيل النبي مشتق من النباوة : وهي الشيء المرتفعK وسمي النبي نبيًّا على هذا المعنى : لرفعة محله على سائر الناس، قال تعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} مريم : 57

أما الرسول في اللغة فمشتق من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ : {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} النمل : 35

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أشهرها:

أن النبي هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين، والرسول هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

[1] عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، كتاب المواقف، تح: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ، 1997م، ص 338/3.
[2] دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

والفرق بينهما أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم وأما الرسول فهو من أرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف على ملة إبراهيم ، وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل . قال تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } (غافر : 34)، وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } (الحج : 52) فذكر الله عز وجل أنه يرسل النبي والرسول . وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد . وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلق من الكفار والمؤمنين .

المحاضرة الثانية: تاريخ القرآن.

تاريخ القرآن. مر تاريخ القرآن الكريم على ثلاث مراحل دارت كلها حول جمعه وكتابته، ونستطيع القول بأن القرآن الكريم جمع ثلاث مرات في تاريخ وصوله إلينا.

الأولى: في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتب السور، بل كان مفرقا بين الصحابة مكتوبا على العسب (جريد النخل) واللخاف (صفائح الحجارة) والرقاع (الجلود) ونحوها مع كونه محفوظا في الصدور، روي الترمذي في سننه عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع[1]، وروى ابن حبان في صحيحه عن البراء قال لما نزلت " لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله " قال النبي صلى الله عليه وسلم ادع لى زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة ثم قال أكتب لا يستوى القاعدون.. الحديث[2]، وأخرج مسلم من حديث أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكتبوا عنى ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[3].

الثانية: جمع أبى بكر الصديق رضى الله عنه، روى البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضى الله عنه إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر (اشتد) يوم اليمامة[4] بقراء القرآن واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن واني أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر[5]، وبقيت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر ثم عند حفصة.

الثالثة: جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدما رآى اختلاف الناس في قراءته فكان بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك حتى تضاربوا، وكان جمعه له بحرف واحد وهو لغة قريش وترك الأحرف الستة الباقية، روى البخاري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها أليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان

---

[1] محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر والألباني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، دط، ص 437/5.

[2] محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993، ص 228/1.

[3] مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، دت، ص 229/8.

[4] اليمامة واقعة جهة نجد وكانت مع مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وقد قتل في هذه الوقعة وابتدأت غزوتها في أواخر عام الحادي عشر وانتهت في ربيع الأول عام الثاني عشر للهجرة وفيها قتل من القراء سبعون قارئا من الصحابة وقيل سبعمائة.

[5] صحيح البخاري، ص 4 / 1720.

للرهط القريشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم فافعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1]، تم ذلك سنة خمس وعشرين للهجرة تحت عناية مركزة من الصحابة واحتياط شديد حتى إنهم كانوا لا يعتمدون على مجرد حفظ من يحفظه أو كتابة من كتبه بقدر ما يعتنون بكتابته ممن سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة مع إحضاره شاهدين عدلين، كما أوجبوا على من يكتبه أن يكون أكتب الناس وأعربهم[2]..

نزول القرآن الكريم. نزل القرآن الكريم على مرحلتين وبطريقتين مختلفتين، أما الأولى فهي نزولها مجملا في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أما الثانية فهي نزوله مفرقا على الأيام والشهور مدة ثلاث وعشرين سنة من السماء الدنيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي النزول الأول قال تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة/185]"، وقال: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر/1]"، وروى الحاكم في مستدركه بإسناد صححه الذهبي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبي صلى الله عليه و سلم و يرتله ترتيلا[3].

بدايات الوحي. قيل أن أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفاتحة وقيل "يا أيها المدثر قم فأنذر" وقيل بسم الله الرحمان الرحيم[4].. ولكن أصح الأقوال عند المحققين كالسيوطي وغيره أن أول ما نزل هو قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}, بدليل ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدِئَ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم, فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يأتي حِراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله, صلى الله عليه وسلم: فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} . حتى بلغ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ} ، فرجع بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ترجف بوادره.

تنجيم القرآن الكريم. معنى التنجيم : التنجيم في اللغة هو التفريق، يقال نجم المال تنجيما : إذا أداه نجوما أي أقساطا مفرقا. وتنجيم القرآن اصطلاحا هو نزوله مفرقا على دفعات، قال تعالى: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً}.الإسراء/106.
مدة التنجيم : نزل القرآن منجما في مدة ثلاث وعشرين سنة.
كمية النازل في كل نجم: كانت كمية الآيات تتفاوت في النزول، فأحيانا كانت تنزل آية واحدة و أحيانا بعض آية و أحيانا كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم الآيتين والخمس والعشر وأحيانا تنزل سورة كاملة كما في سورة الفاتحة والكوثر والمرسلات..

شبهة حول التنجيم: اعترض مشركو قريش على ظاهرة التنجيم وقالوا لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية السابقة؟ ويقصدون أن اختلاف طريق النزول يدل على احتلاف المصدر أي لو كان من عند الله لنزل مجملا، لكن الله تعالى سجل هذه الشبهة وأجاب عنها وترك للعلماء استنتاج بقية الحكم والأسرار المتعلقة بالتجيم، قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" [الفرقان/32]، وذكر الإمام الزرقاني حكما أربعة أساسية للتنجيم هي:

---

[1] صحيح البخاري، ص 4/ 1908.
[2] محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن الكريم، مطبعة الفتح، جدة، 1946م، ص 52.
[3] محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مع تعليقات الذهبي وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411/1990م، ص 242/2.
[4] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م، ص 65.

الوجه الأول: أن في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الحق إلى رسوله صلى الله عليه وسلم سرورا يملأ قلب الرسول وغبطة تشرح صدره وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية وتعهد مولاه إياه في كل نوبة من نوبات هذا النزول.

الوجه الثاني: أن في التنجيم تيسيرا عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه وذلك مطمئن له على وعي ما يوحى إليه حفظا وفهما وحكاماً كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله.

الوجه الثالث: أن في كل نوبة من نوبات هذا النزول المنجم معجزة جديدة غالبا حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت. ولا شك أن المعجزة تشد أزره وترهف عزمه باعتبارها مؤيدة له ولحزبه. خاذلة لأعدائه ولخصمه.

الوجه الرابع: أن في تأييد حقه ودحض باطل عدوه المرة بعد الأخرى تكرارا للذة فوزه وفلجه بالحق والصواب وشهوده لضحايا الباطل في كل مهبط للوحي والكتاب. وإن كل ذلك إلا مشجع للنفس مقو للقلب والفؤاد والفرق بين هذا الوجه والذي قبله هو الفرق بين الشيء وأثره أو الملزوم ولازمه فالمعجزة من حيث إنها قوة للرسول ومؤيدة له مطمئنة له ومثبتة لفؤاده بقطع النظر عن أثر انتصاره وهزيمة خصمه بها[1].

تلخيص حِكم التنجيم وأسراره :
1. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ومؤانسته بالوحي في الظروف الصعبة التي تمر به.
2. تسهيل حفظه .
3. إنزال الحجة بعد الحجة والاستمرار في إثبات صدق الدين والنبوة
4. فضح المنافقين و المشركين في مخططاتهم المتكررة ونياتهم السيئة .
5. رعاية المجتمع الإسلامي بالتدرج والأخذ بيده في الحياة الجديدة بالتأني.

المحاضرة الثالثة: مراحل جمع القرآن.

مراحل جمع القرآن: كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكان حريصا على حفظ ما ينزل عليه حرصا شديدا وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن ينسى شيئا من القرآن حتى تعهد الله سبحان و تعالى له بعدم نسيان شيء منه و كان صلى الله عليه وسلم إذا ما انتهى الوحي تلا الآيات التي نزلت و أمر كتبة الوحي بكتابتها بين يديه فيكتبوها، و كانوا يكتبون على الرقاع (من جلد) والعسب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة) والعظام ، وكتاب الوحي كثيرون عدهم الحافظ العراقي إلى اثنين و أربعين كاتبا و من أشهرهم الخلفاء الأربعة و معاوية بن أبي سفيان و زيد بن ثابت و أبي بن كعب .. والمؤكد المقطوع به أن القرآن كتب كله في عهده صلى الله عليه وسلم لكنه لم يكن مجموعا في موضع واحد .
كتابته في عهد أبي بكر رضي الله عنه: جُمع القرآن الكريم في موضع واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه و ذلك بعد معركة اليمامة التي قتل فيها عدد كبير من القراء فأمر أبوبكر زيد بن ثابت بجمع القرآن من العسب و اللخاف و صدور الرجال .
نسخ المصاحف أيام عثمان رضي الله عنه : بعد أن وقع الخلاف بين المسلمين في قراءتهم للقرآن لاختلاف الحروف و اللهجات قرر عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف واحد درءا (دفعا) للفتنة و المفسدة، فعمل منه خمسة نسخ وأرسل بها إلى مكة والشام و البصرة و الكوفة و احتفظ بنسخة منها لأهل المدينة .
الفرق بين جمع أبي بكر و عثمان : كان جمع أبي بكر للقرآن خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حفاظه لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في مصحف واحد مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان جمع عثمان رضي الله عنه حسما لخلاف نشب بين المسلمين في كيفية قراءة القرآن الكريم، فجمعهم على نسخة موحدة من المصحف هي التي يقرأ بها العالم الإسلامي اليوم.

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، دت، ص 53/1.

كتابة المصاحف و تطورها.
1 ـ الإملاء العثماني : الإملاء العثماني الذي كتبت به اللجنة إملاء خاص بعصر الصحابة رضوان الله عليهم , و هو يختلف عن إملائنا , فهو خال من النقط و الشكل و الزخرفة .
2 ـ تطور هذه الكتابة : إن موضوع رسم المصحف علم قائم بذاته و قد ألفت فيه المؤلفات قديما و حديثا، فمن المؤلفين القدامى أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة 248 هـ والذي ألف كتابه "رسم القرآن" و من المؤلفين المحدثين الشيخ علي محمد الصباغ صاحب كتاب "سمير الطالبين في رسم و ضبط الكتاب المبين"، هذا و قد تطورت كتابة المصحف فتناولت الإعجام (النقط) و الشكل، أما هيكل حروف الكلمة فقد بقي على حالته الأولى .
3 ـ كتابة المصحف والرسم العثماني : هناك أراء ثلاثة في كتابة المصاحف :
الأول: تحريم مخالفة مصحف عثمان في حرفه , ووجوب كتابته على الكتابة الأولى .
الثاني: جواز مخالفته .
الثالث: وجوب كتابته بالإملاء الشائع عند الناس و لا سيما للعامة و الطلبة الصغار .
و **الرأي الأول** هو رأي الكثرة من العلماء و من القائلين به الإمام مالك رحمه الله .
معايير ترتيب السور والآيات (وقفية ام اجتهادية).

1. ترتيب آيات القرآن : ترتيب الآيات في السورة الواحدة كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و بإشارة منه و بهذا فإن ترتيب الآيات توقيفي كما جاءت بذلك الأحاديث وقد ذكر السيوطي الإجماع على ذلك فلا تحل مخالفته .
2. ترتيب سور القرآن : أما ترتيب السور فأمر مختلف فيه فبعضهم يقول أنه توقيفي وبعضهم يقول أنه اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، ذهب إلى الرأي الأول أبو بكر الأنباري وأبو جعفر النحاس والسيوطي والزركشي وأكدوا مذهبهم بالكشف عن العلاقات بين أواخر السورة وأوائل السورة الموالية لها وسموه علم المناسبات، والثاني قول الجمهور منهم الإمام مالك والباقلاني.

المحاضرة الرابعة: مكونات النص القرآني.

(أ) الآية. الآية في اللغة : تأتي الآية في اللغة على عدة معانٍ منها:
1. المعجزة و منه قوله تعالى : سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ [البقرة/211]
2. العلامة الظاهرة و منه قوله تعالى : إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ [البقرة/248]
3. الأمر العجيب و منه قوله تعالى : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً [المؤمنون/50]
4. العبرة و منه قوله تعالى : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة/248]
5. البرهان و الدليل و منه قوله تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ [الروم/22]
6. تأتي بمعنى الجماعة : و منه قولهم : خرج القوم بآياتهم أي بجماعاتهم، وقال برج بن مسهر الطائي:
اشتقاقها
أقرب الأقوال إلى الصواب أنها مشتقة من (التأييَ) بمعنى التثبت و الإقامة على الشيء .
جمعها : آي , و آيات و أياء .
الآية اصطلاحا : هي طائفة (جزء) من القرآن منقطعة عما قبلها و عما بعدها و لها مبدأ و مقطع و هي مندرجة في سورة و معرفتها توقيفية على القول الراجح .
كيف تعرف الآيات : القول الراجح أن معرفتها لا يكون إلا بخبر من النبي صلى الله عليه وسلم.
(ب) السورة : تعريفها لغة: قال ابن فارس : السين و الواو و الراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع[1]، جمعها : سُور و سورات، وقيل أصلها من السؤر وهو القطعة من الشيئ.
السورة في القرآن: هي طائفة من آيات القرآن مسماة باسم خاص لها فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات، قال الإمام الزركشي: "فإن قيل فما الحكمة فى تقطيع القرآن سورا قلت هى الحكمة فى تقطيع السور آيات معدودات لكل آية حد ومطلع حتى تكون كل سورة بل كل آية فنا مستقلا وقرآنا معتبرا وفى تسوير السورة

[1] مقاييس اللغة 88/3.

تحقيق لكون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله تعالى وسورت السور طوالا وقصارا وأوساطا تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة فى التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها يسيرا يسيرا تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه"[1].
من سمى آيات القرآن : ذهب السيوطي إلى أنها مسماة بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم . هذا وقد يكون للسورة اسمان فأكثر وقد اعتنى الإمام البقاعي في تفسيره ببيان أسماء السور مثل سورة الفاتحة تسمى: أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والأساس والمثاني والكنز والشافية والكافية والواقية والشفاء والرقية والحمد والشكر والدعاء والصلاة، وسورة البقرة تسمى السنام والذروة والزهراء والفسطاط" ، وسورة" براءة " : واسمها أيضًا التوبة والفاضحة والبحوث والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والمشردة والمرشدة والمنكلة والمدمدمة وسورة البعوث وسورة العذاب والمقشقشة" ، وسورة ص تسمى سورة داود والنحل تسمى النعم ... والغالب أن لها اسماً واحداً، ومهما يكن عدد اسم السورة فإن له علاقة مع مضمونها كما بينه الإمام البقاعي[2].

المحاضرة الخامسة: القصة القرآنية: خصائصها وأهدافها.

تعريف القصة: القصة لغة من القص وهو تتبع الأثر، يقال: قصصتُ أثره : أي تتبعته، قال تعالى: "فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا" [الكهف/64] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به، وقال على لسان أم موسى: "وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ" [القصص/11] أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه، وتأتي القصة بمعنى الأمر والخبر والشأن والحال، وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة.

وفي الاصطلاح: الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضًا، وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى: "وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا" [النساء/87] وذلك لتمام مطابقتها للواقع،

وأحسن القصص لقوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ" [يوسف/3]، وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى،

وأنفع القصص لقوله تعالى : "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" [يوسف/111] وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

أنواع القصص في القرآن: والقصص في القرآن ثلاثة أنواع :
النوع الأول : قصص الأنبياء، وقد تضمنت دعوتهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين كقصة نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
النوع الثاني : قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة ، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين ، وقارون ، وأصحاب السبت ، ومريم ، وأصحاب الأخدود ، وأصحاب الفيل ونحوهم.
النوع الثالث : قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ، وغزوة حنين وتبوك في التوبة ، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب ، والهجرة ، والإسراء ، ونحو ذلك .
فوائد قصص القرآن: وللقصص القرآني فوائد نلخصها فيما يأتي :
1- إيضاح أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي
2- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجندة ، وخذلان البطل وأهله

[1] محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت ، 1391ه، ص 263/1.
[2] محمود توفيق محمد، الإمَامُ البِقَاعِيّ جهادُه ومنهاجُ تأويله بلاغة القرْآن الكَريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1424ه، ص 212.

3- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .
4- إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .

5- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل.

6- والقصص ضرب من ضروب الأدب يصغى إليها السامع، وترسخ عبره في النفس.
7- بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص.

8- بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين.
9- بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين.
10- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المكذبين.
11- ترغيب المؤمنين في الإيمان والثبات عليه والازدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصارهم.
12- تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم.
13- إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى: " تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" [هود/49].

تكرار القصص وحكمته : يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير سورة، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن، ومن القصص القرآنية مالا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكررًا حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر وبالتالي فهو تكرار إيجابي مليء بالجديد لمن تأمله،
ومن حكمة هذا التكرار:
1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب الأول، فلا يمل الإنسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.
2- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ في التحدي.
3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل.
4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة _ فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.
5- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبًا فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية .
6- ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض.

قصص القرآن بين التصديق والتشكيك: لقد تعرض كتاب الله عز وجل لعدد من الشبهات التي يذيعها أعداؤه وأذيالهم ممن يدعون الإسلام، ومن ذلك ما قيل حول الفن القصصي في القرآن أنه عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ، وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادث تصويرًا فنيًا، وأن القرآن يختلق بعض القصص وأن الأقدمين أخطأوا في عد القصص القرآني تاريخًا يعتمد عليه ..

والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله، وأنه منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعنى فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاه والأساليب الرائعة، وتلك الأخبار التاريخية التي تضمنها القصص القرآني هي جزء من القرآن الذي لم يستطع أحد أن يكذب منه شيئا منذ نزل، بل إن العلوم الحديثة والمتقدمة تثبت صدق كل شيئ فيه بالأدلة الدامغة ومن ادعى العكس فعليه بالدليل القوي المكافئ لأدلة العلوم الحديثة.

ولعل صاحب تلك الشبهة درس فن القصة في الأدب، وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصوير، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها، ورغبت النفس فيها واستمتعت بقرائتها ثم قاس القصص القرآني على القصة الأدبية .

وليس القرآن كذلك فإنه تنزيل من عليم حكيم، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقًا للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولوا زورًا ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية، فكيف يسوغ العاقل أن يلصق الزور بكلام ذي العزة والجلال ؟ والله تعالى هو الحق وما قصه الله تعالى في القرآن هو الحق : "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ"[الكهف/13].

التربية بالقصص القرآني: للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي. ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها، والعِبرَةِ منها. وتتجلى أهم هذه الميزات فيما يلي:

الميزات التربوية للقصص القرآني:

1) تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، دون توان أو تراخٍ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخر كلمة فيها.

ذلك أن القصة تبدأ غالبًا، وفي شكلها الأكمل، بالتنويه بمطلب أو وعد أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة، وقد تتراكم قبل الوصول إلى حل هذه العقدة مطالب أو مصاعب أخرى تزيد القصة حبكًا، كما تزيد القارئ أو السامع شوقًا وانتباهًا وتلهفًا على الحل أو النتيجة.

ففي مطلع قصة يوسف مثلاً، تعرض على القارئ رؤيا يوسف عليه السلام يصحبها وعد الله على لسان أبيه بمستقبل زاهر ونِعَم من الله يسبغها على الأسرة الفقيرة المتعثرة الداعية إلى الله وتتتابع المصائب والمشكلات على بطل القصة يوسف عليه السلام ويتابع القارئ اهتمامه ينتظر تحقيق وعد الله، ويترقب انتهاء هذه المصائب والمشكلات بتلهف.

2) تتعامل القصة القرآنية مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن إبرازها للكائن البشري، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته، فيُعرض عرضًا صادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه، ففي قصة يوسف يعرض نموذج الإنسان الصابر على المصائب في سبيل الدعوة إلى الله (في شخص يوسف)، ونموذج المرأة المترفة تعرض لها حبائل الهوى فملأ قلبها الحب والشهوة، ويدفعها إلى محاولة ارتكاب الجريمة، ثم إلى سَجن إنسان بريء مخلص، لا ذنب له إلا الترفع عن الدنايا والإخلاص لسيده، ومراعاة أوامر ربه، ونموذج إخوة يوسف: تدفعهم هواتف الغيرة والحسد والحقد والمؤامرة والمناورة ومواجهة آثار الجريمة والضعف والحيرة أمام هذه المواجهة.

ونموذج يعقوب : الوالد المحب الملهوف والنبي المطمئن الموصول، يعرض القرآن كل هذه النماذج البشرية عرضًا واقعيًا نظيفًا من غير إفحاش ولا إغراء بفاحشة أو جريمة، كما يفعل مؤلفو القصص التي يسمونها واقعية أو طبيعية من روادِ جاهلية القرن العشرين، ذلك أن من أهم غايات القصة القرآنية التربية الخلقية عن طريق علاج النفس البشرية علاجًا واقعيًا .

فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، ولا محلقة في جو ملائكي محض، لأنها إنما جاءت علاجًا لواقع البشر، وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الرسل المؤمنون، والذي تؤول إليه القصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين.

3) تربي القصة القرآنية العواطف الربانية وذلك:

أ) عن طريق إثارة الانفعالات كالخوف والترقب، وكالرضا والارتياح والحب، وكالتقزز والكره، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيه من وصف رائع ووقائع مصطفاة، فقصة يوسف مثلاً تربي الصبر والثقة بالله، والأمل في نصره، بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف، ثم الارتياح إلى استلامه منصب الوزارة.

ب) وعن طريق توجيه جميع هذه الانفعالات حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة، فتواجه مثلاً حماسة قارئ القصة نحو يوسف وأبيه ، حتى يلتقيا في شكر الله في آخر القصة، ويوجه بُغْض الشر الذي صدر عن إخوة يوسف حتى يعترفوا بخطئهم ويستغفر لهم أبوهم في آخر القصة ، وهكذا ...

ج) وعن طريق المشاركة الوجدانية حيث يندمج القارئ مع جو القصة العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها، ففي قصة يوسف يعتري القارئ خوف أو قلق عندما يراد قتل يوسف وإلقاؤه في الجب، ثم تنشرح العواطف قليلاً مع انفراج الكربة عنه، ثم يعود القارئ إلى الترقب عندما يدخل يوسف دار (العزيز) وهكذا يعيش القارئ مع يوسف في سجنه وهو يدعوا إلى الله، حتى يفرح بإنقاذه، ثم بتوليه وزارة مصر، وبنجاة أبيه من الحزن، وهو في كل ذلك رسول الله والداعية إلى دينه.

4) تمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكري بموضوع القصة.

أ) عن طريق الإيحاء والاستهواء والتقمص، فلولا صدق إيمان يوسف لما صبر في الجب على الوحشة، ولما ثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبعد عن الزلل، هذه المواقف الرائعة توحي للإنسان بأهمية مبادئ بطل القصة وصحتها، وتستهويه صفات هذا البطل وانتصاره بعد صبر ومصابره طويلة، فيتقمص هذه الصفات حتى إنه لقلدها ولو لم يقصد إلى ذلك، وحتى إنه لَيردّدُ بعض هذه المواقف ويتصورها ويسترجعها من شدة تأثره بها.

ب) عن طريق التفكير والتأمل : فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيه الحق، ويصبح مرموقًا محفوفًا بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته، وعظمته في النفس وأثره في المجتمع ، وتأييد الله له، ففي قصة يوسف نجد حوارًا يدور بينه وبين فتيين عاشا معه في السجن فدعاهما إلى توحيد الله، وقصة نوح كلها حوار بين الحق والباطل، وكذلك قصة شعيب وصالح وسائر الرسل: حوار منطقي مدعوم بالحجة والبرهان يتخلل القصة، ثم تدور الدوائر على أهل الباطل ويظهر الله الحق منتصرًا في نتيجة القصة، أو يهلك الباطل وأهله، فيتظاهر الإقناع العقلي المنطقي والإثارة الوجدانية، والإيحاء وحب البطولة (الاستهواء) والدافع الفطري إلى حب القوة وتقليد الأقوياء، تتظاهر كل هذه العوامل وتتضافر، يؤيدها التكرار مرة بعد مرة ، فما أكثر تكرار بعض قصص القرآن حتى تؤدي بمجموعها إلى تربية التصور الرباني للحياة وللعقيدة واليوم الآخر وإلى معرفة كل جوانب الشريعة الإلهية معرفة إجمالية وإلى تربية العواطف الربانية من حب في الله وكراهية للكفر وحماسة لدين الله ولحماته من الرسل وانضواء تحت لوائه، وإلى السلوك المستقيم وفق شريعة الله، والتعامل حسب أوامره، وبهذا تحيط القصة القرآنية نفس الناشئ بالتربية الربانية من جميع جوانبها العقلية والوجدانية والسلوكية .

أغراض القصة القرآنية: ليست القصة القرآنية عملاً فنيًا مطلقًا مجردًا عن الأغراض التوجيهية ، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية، فهي إحدى الوسائل لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها . والتعبير القرآني مع ذلك يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، وبهذا امتازت القصة القرآنية بميزات تربوية وفنية، ذكرنا بعضها في الصفحات الماضية حيث لاحظنا أن القصص القرآني يَجعَل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، وإثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية.

وسنعرض للقارئ بعض أغراض القصة القرآنية:

_ من أهم أغراض القصة عمومًا الاعتبار والتعلم.

_ إثبات الوحي والرسالة، وتحقيق القناعة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يعرف عنه أنه جلس إلى أحبار اليهود والنصارى يتلو على قومه هذه القصص الدقيقة والمسهبة، فلا يشك عاقل في أنها وحي من الله، وأن محمد رسول الله يبلغ رسالة ربه، والقرآن ينص على هذا الغرض نصًا في مقدمات بعض القصص أو في أواخرها فقد جاء في أول سورة يوسف: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لِمِنَ الْغافِلِينَ" [يوسف : 2و3].

_ ومن أغراض القصة القرآنية : بيان أن الدين كله من عند الله .

_ وأن الله ينصر رسله والذين آمنوا ويرحمهم وينجيهم من المآزق والكروب، من عهد آدم ونوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وأن المؤمنين كلهم أمه واحدة والله رب الجميع.

وكثيرًا ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة معروضة عرضًا سريعًا بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة، كما في سورة الأنبياء حيث ورد ذكر موسى وهارون ثم لمحة موجزة عن قصة إبراهيم ولوط وكيف نجاهم الله وأهلك قومهما وقصة نوح وجانب من أخبار داود وسليمان وما أنعم الله عليهما، وأيوب حين نجاه الله من الضر، وورد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وكلهم من الصابرين الصالحين، وذا النون وزكريا ويحيى ويختم الله هذه السلسلة من الأنبياء بخبر مريم وابنها عيسى عليهما السلام ثم يخاطب الله مباشرة جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم بقوله: "إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدونِ" [الأنبياء : 92] .

فتبين من هذه السورة الكريمة تقرير الغرض الأصيل من هذا الاستعراض الطويل وهو أن جميع الأنبياء يدينون دينًا واحدًا ويخضعون لرب واحد يعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا ، وعندما نستعرض خبر كل نبي نجد أن الله قد شد أزره ونصره ونجاه من الكرب الذي نزل به، أو المأزق الذي أوشك أن يقع فيه.
4) وفي هذا شد لأزر المؤمنين، وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب، وتثبيت لرسول الله ومن تبعه من أمته، وتأثير في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يؤمنوا لا محالة هالكون، وموعظة وذكرى للمؤمنين ، وقد صرح القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى (وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ في هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنينَ ([هود : 120] .
وجاء في سورة العنكبوت لمحة خاطفة عن قصة كل نبي ، مختومة بالعذاب الذي عذب به المذنبون من قومه حتى ختمت جميع القصص المجملة بقوله تعالى: "فَكُلاً أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مِنْ خَسَفْنا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا، وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ" [العنكبوت : 40] فعلى قارئ القرآن أن يستحضر مكان الموعظة والذكرى من كل قصة، ليحاور نفسه حوارًا يوجهه إلى التأثر بها والعمل بمقتضاها.

_ ومن أغراض القصة في التربية الإسلامية: تنبيه أبناء آدم إلى خطر غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم إلى أن تقوم الساعة، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشّر، ولما كان هذا موضوعًا خالدًا فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى.
_ ومن أغراض القصص التربوية: بيان قدرة الله تعالى بيانًا يثير انفعال الدهشة والخوف من الله لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد ونحوها من العواطف الربانية، كقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وقصة إبراهيم والطير الذي رجع إليه بعد أن جعل على كل جبل جزءًا منه، قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [البقرة/260].
خصائص القصة القرآنية ومميزاتها. وتتميز القصة في القرآن الكريم بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضوياً لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بحيث لو حذفنا القصة من موقعها الوارد في السورة لاختل المعنى، لأن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ، فلو حذفنا على سبيل المثال، قصة الغراب التي وردت أثناء الحديث عن قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) لما استقام المعنى، لأن الغرض من ذكر الغرابين كان لحكمة إلهية لبيان حكمة دفن الموتى.
ولا ترد القصة في القرآن الكريم إلا إذا تطلبها المقام واقتضت البلاغة ذكرها، ويذكر الجزء الذي له علاقة بموضوع السورة، ولا تذكر القصة كاملة، ولهذا خلت سورتا "الأعراف" و "هود" من الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام على الرغم من أن السورتين تحدثتا عن قصص الأنبياء.
وقد يكون الدافع من ذكر القصة في السورة هو بيان قدرة الله سبحانه وتعالى كما في قصة أهل الكهف، وقصة إحياء الموتى كما في سورة البقرة، فاستدعى المقام التذكير بقدرة الله، وقد جاء الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى ضمن السياق والجو العام الذي يتناسب مع موضوع السورة.
وإذا ما تأملنا مقدمة القصة القرآنية فإننا نجد أن الخطاب في الغالب يكون موجهاً للنبي عليه الصلاة والسلام دلالة على أن هذه القصة تساق لأجله ولأجل دعوته إما لتثبيته ولتأكيد دعوته بسوق معجزة جديدة من خلال هذه القصة، إما لردع معانديه وتخويفهم.

وتمتاز القصة القرآنية بالبداية المشوقة كما في سورة الفيل التي ابتدأت بسؤال مثير للاهتمام: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [الفيل/1]. فالعرب يعرفون أن لعنة الله قد حلت بأصحاب الفيل ولكنهم بحاجة إلى مزيد من التفاصيل، ثم ذكرت نهاية القصة في بدايتها أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ [الفيل/2]، وما زال الاستفهام قائماً. وكيف كان ذلك؟ فجاءت الإجابة في ثلاث آيات قصيرات مركزات وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ [الفيل/3-5].. وهكذا وصفت واقعة الفيل أبلغ وصف، واختتمت بنهاية محكمة أشد الإحكام. وروعة هذه القصة القرآنية ليست في جِدَّةِ موضوعها فهي قصة معروفة عند العرب متداولة بينهم، ولكن روعتها تكمن في القالب الجديد التي عرضت من خلالها وفي أسلوبها الموجز البليغ، فهي تتحدث عن واقعة عظيمة قدمت مختصرة في خمس آيات. ونجد كذلك التنويع في المقدمات، فسورة الكهف ابتدأت بذكر ملخص كامل لوقائعها، ولكن هل أشبع هذا الملخص

الرغبة في معرفة تفاصيل هذه القصة؟ والإجابة: كلا.. بدليل قوله تعالى بعد ذلك: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف/13]، فالقارئ والمستمع يتلهف لمعرفة سبب ذهاب الفتية إلى الكهف وما حدث لهم بعد ذلك، وابتدأت سورة يوسف بالتشويق الذي بلغ أعلى درجات الإثارة، ففي مستهل القصة وصف الله تعالى القصص القرآني بأحسن القصص الذي يخرج الناس من غفلتهم، ثم انتقلت للحديث عن الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام وهذا وحده كفيل بإثارة اهتمام القارئ والمستمع وشوقه لمعرفة تفسير تلك الرؤيا، ثم تحدثنا الآيات عن تحذير يعقوب عليه السلام لابنه من رواية تلك الرؤيا لإخوته. وبعد هذا الاستهلال الرائع للقصة تعود بنا الآيات إلى الماضي لتحدثنا عن تآمر إخوة يوسف عليه السلام، ثم تتسلسل الآيات في رواية قصته كاملة

وهذا ينقلنا بدوره إلى الحديث عن المفاجآت في القصة القرآنية التي تتميز بتنوع الأساليب التي كانت تقدم من خلالها، فقد يكتم القرآن سر المفاجأة حتى تتكشف في نهاية القصة، وفي هذا تشويق للقارئ حتى يتم القصة ويعرف نهايتها كما في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، بينما في قصة ملكة سبأ كان السر معروفاً للقارئ في كيفية مجيء العرش إلى سليمان عليه السلام بينما هي لم تكن تعرف، والدليل على ذلك قولها عندما رأته (كأنه هو): لأنها لمست تشابهاً كبيراً بينه وبين قصرها، فسرد هذه الأحداث بهذه الطريقة فيه إثارة لاهتمام القارئ.

ويمتاز القرآن الكريم بالدقة في اختيار الكلمات التي تحمل دلالات عميقة، وتعبر عن أحداث كثيرة بأقل عدد من الكلمات كما في كلمة (تذودان) الواردة في قوله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" [القصص/23] فهذه الكلمة بينت أن الفتاتين كانتا تحبسان أغنامهما وتمنعانها من الاختلاط بأغنام الآخرين، حتى لا يدعي أحدهم أنها له، وهذا يعني أنهما كانتا تنتظران - لضعفهما - حتى يخف الزحام فتسقيان أغنامهما، وأن أغنامهما كانت تريد الذهاب إلى مورد الماء مع سائر الماشية فكانتا تمنعانها وهذه الكلمة ساهمت في تخيلنا للموقف وما فيه من حركة، والدوافع النفسية التي تدفعهما للتصرف بهذه الطريقة، كل ذلك لخصه القرآن الكريم في كلمة واحدة هي تذودان ولاشك أن هذه الكلمة تكشف عن نفسية هؤلاء القوم الذين كان يسيطر عليهم حب الذات، والحرص على مصالحهم الخاصة بهم دون الالتفات إلى حاجة الآخرين للماء، وعدم مراعاتهم لضعف هاتين الفتاتين وكبر سن والدهما، ولذلك لفت هذا المشهد انتباه موسى عليه السلام وأثار تعجبه، ولما عرف القصة سقى لهما، وهذا يدل على حسن خلقه.

وقد نستغرب احتجاج الملائكة بأن نسل آدم سيفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء وهذا الأمر ما زال في علم الغيب في ذلك الوقت عندما أخبرهم الله - سبحانه وتعالى - أنه سيجعل آدم خليفة له في الأرض، كما اتضح ذلك من قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [البقرة/30]، ولعل في ذكرهم لسفك الدماء ما يتصل بصلة وشيجة بالدم المسفوك في قصة البقرة، ولذلك ذكرت هذه الجزئية من قصة آدم في هذه السورة فقط.

ويمتاز القصص القرآني بتنوع الصِّيَغ التي كان يقدم من خلالها الإنذار للأقوام التي تستحق العذاب، بعد استنفاد وسائل الإصلاح كلها، وقد حدثتنا سورة هود عن صيغ الإنذار التي وردت على لسان نوح وهود ولوط وصالح وشعيب، عليهم السلام، وعند قراءتنا لصيغ الإنذار نلاحظ المضمون نفسه ولكن الشكل الفني الذي قدم من خلاله كان يختلف باختلاف القوم، بحيث لا يدع مجالاً للشك بأن القرآن الكريم كلام الله، سبحانه وتعالى، ولهذا كان الإعجاز البلاغي هو مناط التحدي كما يتضح لنا كذلك أن الله سبحانه وتعالى ينصر أنبياءه والمؤمنين معهم وينجيهم، وينزل عقابه بمستحقيه.

وللإنذار أهمية بالغة في القصة القرآنية لأنه مرتبط بعنصر "العقدة" لهذا كان الإنذار الأخير في كل قصة قرآنية يشير إلى "الذروة" في تأزم الأحداث، والوصول إلى الذروة يعني قرب حدوث "الحل" الذي كان يأتي في القصص القرآني من خلال معجزة إلهية ترمي إلى إنزال الهلاك التام بالقوم المفسدين. ولهذا كان المشهد الأخير من كل قصة قرآنية يتميز بإنزال كارثة بالمكذبين الذين كانوا يستحقون العقوبة مثل: الطوفان أو الزلزال أو العاصفة المدمرة أو الصيحة، لإظهار أن القوة لله جميعاً، وتحذر مشركي مكة من ملاقاة المصير نفسه، مع الحرص على ربط طرق الإهلاك مع نوعية الذنب المرتكب من قبل المكذبين بالدين بقصد الاعتبار.

ومن أوجه الاختلاف بين القصة القرآنية والقصة الفنية، أن القصة القرآنية تشيع فيها التعليقات التي تلخص مغزى القصة، التي تسبق سرد أحداث القصة، أو تلحق السرد، أو تأتي خلاله لتفسر أسباب تلك الأحداث بما يبررها حتى يكون لها وقعها في النفوس بما يستخدم في التعقيب عليها من أساليب التذكير والوعظ والزجر، ومن الأمثلة على ذلك طريقة عرض قصة أهل الكهف إذ تلتقي بملخصها في ثلاث آيات ثم يأتي التفصيل. فالقصة القرآنية تحرص على إبراز المغزى في حين لا يجوز ذلك في القصة الفنية، والمحلل الأسلوبي لا يحتاج إلى تبرير مثل هذا المنهج الذي يتناسب مع غايات القرآن الكريم الدينية، فالقصة القرآنية قصة إيمان وهدفها تربية العقيدة في الوجدان الإنساني، والقرآن الكريم جاء لكل العقول والاتجاهات، وبعض الناس قد لا يستطيع استنتاج العبرة من القصة، فكان لابد من إرشاده إلى الغرض الذي تجسده بأسلوب يغلب عليه التبسيط أحياناً لتوضيح العبرة ليفهمها كل إنسان. ولكن هذا لا يعني أن القصة القرآنية تأخذ بالتقرير والمباشرة وإنما هي تهتم بالتصوير والتجسيم والاستحضار والإيحاء، فسورة "يوسف" من أولها إلى آخرها لم تقل شيئاً عن وسامة يوسف عليه السلام، لكننا نرى الوسامة الأخاذة في أعين النسوة اللائي عندما رأينه قطعن أيديهن لفرط الذهول من وسامته، فحقيقة جمال ووسامة يوسف قدمت لنا مجسمة تكاد تنطق في قوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ" [يوسف/31] والتضعيف في الفعل (قَطَّعن) أسهم في إيضاح الموقف وتصويره بحيث يمكننا تخيل مشهد النسوة وهن يقمن بتقطيع أيديهن، فتشبيه يوسف بالملك الكريم يعني أن جماله فاق الوصف. وتلفت النظر أيضاً ظاهرة أساليب التوكيد التي أكثر إخوة يوسف عليه السلام من استخدامها، فهم كانوا يتبعون قولهم بعبارة من مثل: (وإنا لناصحون) ودلالة على ذلك أنهم كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم أن نواياهم ليست سليمة، وأنهم موضع شك فيحاولون إبعاد الشبهة عن أنفسهم بأساليب التوكيد. ومن أسطع الأمثلة على ذلك ما قاله، سبحانه وتعالى، على لسان إخوة يوسف: "قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ" [يوسف/14] فهاهم يلجأون إلى اللام المواطئة للقسم (لئن)، واللام الواقعة في (لخاسرون) والجملة المعترضة (ونحن عصبة) ليزيلوا ما في نفس أبيهم من خوف على يوسف، ولا تبقى له عِلَّه يتشبث بها. ولبث مزيد من الاطمئنان في نفس أبيهم نلاحظ الضمير الدال على الجمع (نحن - إنا) وجمع المذكر السالم (خاسرون)، ودلالة كلمة (عصبة) لبيان قوتهم ومقدرتهم على حمايته، وكان لدى الوالد إحساس بأنهم يدبرون مكروهاً لأخيهم، لذلك عبر أمامهم عن مخاوفه، لكنهم طمأنوه، بينما نجد الحديث عن الصبر والدعوة إليه وبيان فضله، وبث الشكوى والحزن إلى الله على لسان يعقوب عليه السلام، الذي كان بأمس الحاجة إليه ليستطيع مواجهة الموقف الصعب الذي وجد نفسه فيه.

تنوع المفاجأة وطريقة العرض في القصة القرآنية" إن خضوع القصة القرآنية للغرض الديني لم يمنع كمال خصائصها الفنية، بل انفردت بخصائص غاية في الجمال لم تعرفها القصة الفنية من قبل ولا من بعد من أهمها تنوع المفاجأة وطريقة العرض.

بالنسبة لطريقة المفاجأة فمرة يكتم سر المفاجأة عن البطل وعن السامعين حتى يكشفه لهم معا في آن واحد كما في قصة موسى مع الخضر، وتارة يكشف بعض السر للسامعين دون البطل كما في قصة بلقيس مع سليمان، وتارة يكشف السر تماما من البداية كما في قصة أصحاب الجنة.

أما طريقة العرض فمرة يذكر ملخصا للقصة ثم يعرض التفصيلات كقصة أهل الكهف، ومرة يذكر نتائج القصة ودروسها ثم يفصل فيها كما في قصة موسى في سورة القصص وقصة يوسف، ومرة يذكر القصة من دون مقدمة ولا ملخص ويكون في طياتها ما يغني عن ذلك كما في قصة مريم وابنها عليهما السلام، ومرة يورد القصة على شكل حوار تمثيلي كما في قصة إبراهيم مع أبيه وقومه، ومرة يوردها على شكل إخباري سردي، وهذا التنوع في المفاجأة وطريقة العرض يجعل القصة القرآنية فريدة في إبداعها غير خاضعة لقواعد القصة الفنية في شيء[1].

المحاضرة السادسة: سياقات النص القرآني.

[1] عبد الله شحاتة، علوم التفسير، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1421ه/ 2001م، ص 117 وما بعدها.

1 _ السياق السببي: أسباب النزول. القرآن الكريم قسمان: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق وهو كثير ظاهر، وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة، ولما كان لهذه الأسباب ارتباط بآياتها تحدث العلماء عن أسباب النزول كعلم من علوم القرآن المهمة التي لا يستغني عنها المفسر بل هي أول ما ينظر فيه.

تعريف أسباب النزول: سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[1].

وقيل اختصارا: هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال[2].

ولأهمية هذا العلم ألف فيه العلماء منذ القديم ومنهم: علي بن المديني شيخ البخاري، ثم الواحدي في كتابه أسباب النزول، ثم الجعبري الذي اختصر كتاب الواحدي بحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئًا، ثم شيخ الإسلام ابن حجر ثم السيوطي ...

سبب النزول قاصر على أمرين:

1- أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها، وهذا معظم أسباب النزول.

2- أن يُسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي من ذلك فنزلت آيات الظهار من سورة المجادلة

ملاحظة: من بالغ اهتمام العلماء بأسباب النزول وتفسير الآيات به قد يعتبرون نزول الآية سابقا على أحداثها، كما في قوله تعلى: " سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" [القمر/45] نزلت في مكة وتحققت في بدر، وكان عمر يسأل نفسه عن معناها حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم يرددها في بدر[3]، وقال بعض المفسرين بأن قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى" [الأعلى/14] نزلت فيمن يؤدي زكاة رمضان (الفطر) استنادا إلى بعض الأحاديث.

ما يُعْتَمد عليه في معرفة سبب النزول: يعتمد العلماء في معرفة سبب النزول على الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه الذين عاشوا تلك الوقائع،، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحًا لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع، قال الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الاسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار"[4]، وكان العلماء يهابون الحديث في أسباب النزول دون تثبت ويتوقفون فيه غالبا لأن الخوض فيه بالشك نوع من التفسير بالرأي المذموم عندهم.

فوائد معرفة أسباب النزول: _ معرفة دوافع تشريع الحكم مثل حماية أعراض الناس بآيات قصة الإفك.

_ تخصيص الحكم به أو تعميمه عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ومن يراها بعموم اللفظ مثل آيات الظهار من فواتح المجادلة.

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 106/1.

[2] مباحث في علوم القرآن، ص 78/1.

[3] أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، دط ، 1415ه، ص 145/4.

[4] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، دط، ص 4.

_ الوقوف على المعنى الصحيح لأن القصة طريق قوى لفهم معانى الكتاب العزيز، قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالمسبب يورث العلم بالسبب"[1].

_ معرفة العام والخاص في الحكم التي وردت به الآية، كقوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" فهذا اللفظ الكريم يدل بظاهره على أن للإنسان أن يصلي إلى أية جهة شاء، لكن إذا علم أن هذه الآية نازلة في نافلة السفر خاصة تبين له أن الظاهر غير مراد إنما المراد التخفيف على خصوص المسافر في صلاة النافلة.

_ معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب مثلا. ولهذا ردت عائشة على مروان حين اتهم أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزلت فيه آية {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا} وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته[2]..

_ إزالة بعض الإشكالات التي تبدو من المعنى الظاهر للآية والمساعدة على تأويلها تأويلا صحيحا.

_ تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سبب نزولها، وذلك لأن ربط الأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة من دواعي استقرار الأشياء في الذهن وسهولة تذكرها.

الاستفادة من معرفة أسباب النزول في مجال التربية والتعليم: يعاني المربون في مجال الحياة التعليمية كثيرًا من **المتاعب** في استخدام الوسائل التربوية لإثارة انتباه الطلاب حتى تتهيأ نفوسهم للدرس في شوق يستجمع قواهم العقلية ويرغبهم في الاستماع والمتابعة، والمرحلة التمهيدية من مراحل الدرس تحتاج إلى فطنة تعين المدرس على اجتذاب مشاعر الطلاب لدرسه بشتى الوسائل المناسبة، كما تحتاج إلى ممارسة طويلة تُكسبه خبرة في حسن اختيار الربط بين معلوماتهم.

وكما تهدف المرحلة التمهيدية في الدرس إلى إثارة انتباه الطلاب واجتذاب مشاعرهم فإنها تهدف كذلك إلى التصور الكلي للموضوع، كي يسهل على المدرس أن ينتقل بطلابه من الكلي للجزئي إلى أن يستوعب عناصر الدرس تفصيلًا بعد أن تصوره طلابه جملة، ومعرفة أسباب النزول هي السبيل الأفضل لتحقيق تلك الأهداف التربوية في دراسة القرآن الكريم تلاوة وتفسيرًا.

إن سبب النزول إما أن يكون قصة لحادثة وقعت، وإما أن يكون سؤالًا طُرِحَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستكشاف حكم في موضوع، فينزل القرآن إثر الحادثة أو السؤال، فلن يجد المدرس نفسه في حاجة لمعالجة التمهيد للدرس بشيء يبتكره ويختاره، إذ إنه إذا ساق سبب النزول كانت قصته كافية في إثارة انتباه الطلاب، واجتذاب مشاعرهم، واستجماع قواهم العقلية، وتهيئة نفوسهم لتقبل الدرس، وتشويقهم للاستماع إليه، وترغيبهم في الحرص عليه، فهم يتصورون الدرس بمعرفة سبب النزول تصورًا عامًّا بما فيه من عناصر القصة المثيرة، فتتوق نفوسهم إلى معرفة ما نزل ملائمًا له وما يتضمنه من أسرار تشريعية وأحكام تفصيلية، تهدي الإنسانية إلى نهج الحياة الأقوم، وصراطها المستقيم، وسبيل عزها ومجدها وسعادتها[3].

تكرار نزول الآيات: وقد تنزل الآيات مرتين تعظيما لشأنها وتذكيرا بها عند حدوث سببها خوف نسيانها وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة وقوله تعالى: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

---

[1] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426 هـ / 2005 م، ص 339/13.

[2] أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى، تح: د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411ه/م1991، ص 459/6.

[3] مباحث في علوم القرآن، ص 95.

ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ" [هود/114]، وقوله تعالى: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي"[1] [الإسراء/85]..

تعدد الأسباب والنازل واحد: إذا جاءت روايتان في سبب نزول آية واحدة من القرآن وذكرت كل من الروايتين سببا صريحا غير ما تذكره الأخرى نظر العلماء فيهما: فإما أن تكون إحداهما صحيحة والأخرى ضعيفة فنأخذ الصحيحة ونطرح الضعيفة، وإما أن تكون كلتاهما صحيحة وإحداهما راجحة على الأخرى فنأخذ بالراجحة، وإما أن تكون كلتاهما صحيحة ولا مرجح لإحداهما على الأخرى فيمكن الأخذ بهما معا وحمل الحادثين على تعدد النزول بأن وقعتا في زمن متقارب وبشكل مترابط ثم نزل القرآن بشأنهما جميعا كما جاء في آية الملاعنة: " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ" [النور/6] صح أنها نزلة في هلال بن أمية حين قذف امرأته وصح نزولها في عويمر العجلاني أيضا، وبما أن الروايتين غير متعارضتين فالحمل على تعدد سبب النزول أولى من إهمال أحد السببين[2].

ملاحظة حول خصوص السبب وعموم الصيغة: الغالب على أسباب النزول أن تكون أحداثها خاصة بأفراد وأمكنة وأزمنة لكن الآيات وإن جات بتلك الأسماء فحكمها الشرعي عام لجميع الأشخاص في كل مكان وزمان لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

2 _ السياق المكاني: المكي والمدني. من أعظم الأحداث التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم المتعلقة بدعوته للإسلام حدث الهجرة من مكة إلى المدينة، هذا اليوم الذي يعتبر فاصلا كبيرا بين حقبتين مختلفتين من حياة الدعوة، حقبة أولى تميزت بالتعامل مع أهل مكة الذين صموا آذانهم عن القرآن وردوا عنه بقسوة وجفاء، وحقبة ثانية تميزت بالتعامل مع أهل المدينة الذين رحبوا بالقرآن واحتضنوه، فواكب هذا الوضع الجديد تغيرا في موضوعات القرآن الكريم النازلة وتغيرا في أسلوب مخاطبته للناس، هذا التغير الذي لاحظه علماء القرآن وأسسوا من خلاله لعلم المكي والمدني.

تعريف المكي والمدني: هناك تعريفات مختلفة لهذا العلم منها أن المكي ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى ولو نزل بغير مكة، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة. وهذا التعريف روعي فيه الزمان.
التعريف الثاني: أن المكي ما نزل من القرآن بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضًا كبدر، وأحد، وهذا التعريف روعي فيه مكان النزول، وانتقد بأنه لا يراعي ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما، كقوله -تعالى- في سورة التوبة: "لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ"[التوبة/42] نزلت بتبوك، وقوله تعالى في سورة الزخرف: "وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا" [الزخرف/45] فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.
التعريف الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة. وهذا التعريف روعي فيه المخاطبون، لكنه انتقد بأنه لم يراعي ما خوطب به عامة الناس والنبي صلى الله عليه نحو قوله تعالى في فاتحة سورة الأحزاب: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ الآية، وقوله تعالى في سورة الكوثر: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ الآية وغيرهما..
والراجح من هذه التعريفات الثلاثة هو التعريف الأول للسببين الآتيين:
1- أنه ضابط وحاصر لكل القرآن ولا يختلف، واعتمده معظم العلماء.
2- أن الاعتماد عليه يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني.
فوائد معرفة المكي والمدني:
1- معرفة الناسخ والمنسوخ، فالمدني ينسخ المكي؛ إذ أن المتأخر ينسخ المتقدم.
2- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم؛ إذ أن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها.
3- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في

[1] البرهان في علوم القرآن ص 29/1.
[2] مناهل العرفان في علوم القرآن، ص116/1.

تربية الشعوب والأفراد.
4- استخراج سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وذلك بمتابعة أحواله بمكة المكرمة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها.

5- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله، ما كان قبل الهجرة وما كان بعدها، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار، ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، إلى غير ذلك من الأحوال.
6- معرفة أسباب النزول، إذ أن معرفة مكان نزول الآية توقفنا على الأحوال والملابسات التي احتفت بنزول الآية.
7- الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف.
بعض المؤلفات الخاصة بالمكي والمدني: توجد العشرات من الكتب القديمة والحديث الخاصة بعلم المكي والمدني مما يدل على أهمية هذا العلم ووجذبه للعلماء والباحثين للتحقيق في مسائله، من هذه الكتب: "نزول القرآن" للضحاك بن مزاحم الهلالي (ت /104 هـ)، " "نزول القرآن" للحسن بن أبي الحسن البصري (ت /110 هـ)، "تنزيل القرآن" لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت /124 هـ)، "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة" لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (ت /294 هـ)، "بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه" لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت /400هـ تقريبًا)، وهو من الكتب التي اعتمدت عليها اللجنة التي أشرفت على طباعة "مصحف المدينة النبوية"..
ومن أهم الرسائل العلمية الحديثة المتعلقة بالمكي والمدني:
1- " أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها" رسالة دكتوراه للدكتور أحمد عباس البدوي.
2- "خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها" رسالة ماجستير للدكتور عادل أبي العلا. مطبوع.
3- "المكي والمدني في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء" رسالة ماجستير للباحث عبد الرزاق حسين أحمد، مطبوع.
المعتمد في معرفة السور المكية والمدنية: وردت مجموعة من الروايات عن الصحابة والتابعين حددت السور المكية والمدنية اعتمدها العلماء في التفريق بينهما، لكن منها الصحيح ومنها الضعيف، وعلى إثر ذلك وقع اتفاق على بعض السور كونها مكية أو مدنية ووقع اختلاف في السور الأخرى، من تلك الروايات رواية أبي طلحة عن ابن عباس: نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون يريد الصف والتغابن ، ويا أيها النبي إذا طلقتم ، ويا أيها النبي لم تحرم ، والفجر ، والليل ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله ؛ وسائر ذلك بمكة[1]
أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني: هناك أسباب أدت إلى اختلاف أهل العلم حول تعيين المكي والمدني، وتنحصر تلك الأسباب فيما يلي:
أولا: عدم التنصيص من الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هذا الأمر، فلم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: هذه السورة أو الآية مكية، وتلك السورة أو الآية مدنية.
ثانيا: الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني.
ثالثا: عدم التمييز بين ما هو صريح في السببية وما هو غير صريح فيها. يعني أنه وقع من بعض الرواة لأسباب النزول -لعدم تمييزهم بين القصة الصريحة في السببية وبين القصة التي ذكرت كتفسير للآية وبيان معناها- أن ألحق بعض الآيات المكية في السور المدنية، كما ألحق بعض الآيات المدنية في السور المكية، اعتمادا على تلك الأسباب غير الصريحة.
رابعا: توهم قطعية بعض الضوابط وخصائص المكي والمدني، مع أن تلك الضوابط والخصائص مبناها على الغالبية، لا على التحديد القاطع الذي لا يقبل التخلف أو الاستثناء.
خامسا: الاعتماد على الروايات الضعيفة التي لا ترتقي بمستوى الاحتجاج رغم وجود روايات صحيحة في الموضوع

[1] إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1420،2هـ/ 1999 م، ص 19/1، وقال ابن كثير إسناده صحيح.

قواعد المكي والمدني: القاعدة الأولى: القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على النقل عمن شاهدوا الوحي والتنزيل. القاعدة الثانية: الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، ولا يقبل القول بمدينة بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح، كما أن السورة المدنية يحكم بجميع آياتها بأنها مدنية، إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح. القاعدة الثالثة: القرآن المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله، وينسخ المكي أيضا، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني. القاعدة الرابعة: قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى.

ضوابط السور المكية وخصائصها: 1_ كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

2_ كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن. وذُكرت ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة. 3_ كل سورة فيها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}.. ومع هذا فإن كثيرًا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك. 4_ كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة. 5_ كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

ضوابط السور المدنية وخصائصها: أولًا: الضوابط:

1- كل سورة فيها إذن بالجهاد أو ذكر له وبيان لأحكامه فهي مدنية.

2- كل سورة فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق، والقوانين المدنية والاجتماعية والدولية فهي مدنية.

3- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت، إلا أن الآيات الإحدى عشرة الأولى منها مدنية وفيها ذكر المنافقين.

4- كل آية بدأ فيها الخطاب بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فهي مدنية.

ثانيًا: الخصائص:

1- سلوك الإطناب والتطويل في آياته وسوره.

2- سهولة ألفاظها وخلوها من الغريب اللغوي في الغالب.

3- الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عند مناقشة أهل الكتاب، والأسلوب التهكمي عند مجادلة أهل الكتاب وفضح نواياهم السيئة.

4- التحدث عن التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

5- بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد، وحكمة تشريعه، وذكر الأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والمعاهدات والصلح والغنائم والفيء والأسرى.

6- دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة وبيان ضلالهم فيها.

7- بيان ضلال المنافقين وإظهار ما تكنه نفوسهم من الحقد والعداوة على الإسلام والمسلمين.

السور المدنية المتفق عليها: 1- البقرة 2- آل عمران 3- النساء _ 4- المائدة 5- الأنفال 6- التوبة _7- النور 8- الأحزاب 9- الفتح _10- الحجرات 11- الحديد 12- المجادلة_ 13- الحشر 14- الممتحنة 15- الجمعة_ 16- المنافقون 17- الطلاق 18- التحريم

السور المختلف فيها: 1- الفاتحة 2- الرعد 3- النحل _4- الحج 5- العنكبوت 6- محمد (صلى الله عليه وسلم) _ 7- الرحمن 8- الصف 9- التغابن _ 10- الإنسان 11- عبس 12- المطففين _13- الفجر 14- الليل 15- القدر _16 - البينة 17- الزلزلة 18- النصر _ 19- الإخلاص 20 - الفلق 21- الناس. **وما عدا ذلك مكي**، وعددها خمس وسبعون سورة.

المحاضرة السابعة: السياق التراتبي.

_ **أول ما نزل.** تثبت الأحاديث الصحيحة الكثيرة[1] أن أول ما نزل هو "إقرأ باسم ربك"، واجتهد العلماء في التوفيق بين تلك الأحاديث وأحاديث أخرى تقول أن أول ما نزل سورة المدثر، قال العلماء أول ما نزل من الآيات مطلع سورة العلق، وأول ما نزل من السور الكاملة المدثر، وقال آخرون: أول ما نزل للنبوة اقرأ

[1] الإتقان في علوم القرآن، ص 1/ 74.

باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر، وقيل بأن حديث أول ما نزل سورة المدثر رواه جابر بن عبد الله باجتهاد منه أما حديث "إقرأ" روته عائشة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الراجح والمقدم على حديث جابر، وهذا أحسن الأقوال عند السيوطي[1]، والأمر كذلك بالنسبة لسورة الفاتحة لمن اعتبرها أول ما نزل، أما من قال أول ما نزل "بسم الله الرحمان الرحيم" فيمكن الجمع بين الروايتين بكون البسملة استفتاح لكل السور ومنها سورة العلق.

_ **آخر ما نزل:** الآيات التي اعتُبرت آخر ما نزل كثيرة، لكن جمع العلماء بين عدد منها جمعا موفقا واختصروا عدد الأقوال إلى أقل مما تراه في هذه الآيات:

1 أخرج البخاري عن ابن عباس قال: "آخر آية نزلت آية الربا" والمراد بها قوله تعالى: {يَاالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا}[2].

2 قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}، رواه النسائي وغيره عن ابن عباس وسعيد بن جبير[3].

3 عن سعيد بن المسيب: "أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدًا بالعرش آية الدَّيْنِ" والمراد بها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ}.

ويجمع بين الروايات الثلاث بأن هذه الآيات نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، آية الربا، فآية {وَاتَّقُواْ يَوْمًا} فآية الدَّيْنِ، لأنها في قصة واحدة. فأخبر كل راوٍ عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وبهذا لا يقع التنافر بينها.

4 وقيل: آخر ما نزل آية الكلالة. فقد رَوَى الشيخان عن البرَّاء بن عازب قال: آخر آية نزلت: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَة}[4]، وحُمِلَتْ الآخرية هنا في قول البراء على أنها مقيدة بما يتعلق بالمواريث.

5 وقيل: آخر ما نزل قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}، رواه الحاكم في المستدرك عن أُبَيّ بن كعب، وحُمل هذا على أنها آخر ما نزل من سورة "براءة"[5].

6 وقيل: آخر ما نزل سورة المائدة، لما رواه الترمذي والحاكم في ذلك عن عائشة[6] -رضي الله عنها- وأجيب بأن المراد أنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام، فلم تنسخ فيها أحكام.

7 وقيل: آخر ما نزل قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}، أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة[7]، ويتضح من الرواية أن الآية المذكورة آخر ما نزل بالنسبة إلى ما ذُكر فيه النساء.

8 وقيل: آخر ما نزل آية: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[8].. لما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس وتبين أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمدًا.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، ص 1/ 76.
[2] صحيح البخاري، 2/ 734.
[3] صحيح البخاري، 2/ 734.
[4] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، ص 79/3.
[5] أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دط، ص 5/ 134، وقال المعلق إسناده ضعيف.
[6] مسند أحمد، ص 188/6، وقال المعلق إسناده صحيح.
[7] عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي، مسند الحميدي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة، ص 144/1.
[8] صحيح البخاري،4/ 1676.

9 وأخرج مسلم عن ابن عباس قال:"آخر سورة نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}[1]، وحُمل ذلك على أن هذه السورة آخر ما نزل مُشعرًا بوفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- كما فهم بعض الصحابة، أو أنها آخر ما نزل من السور.

وهذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وكل قال بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلًّا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من الرسول، أو قال ذلك باعتبار آخر ما نزل في تشريع خاص، أو آخر سورة نزلت كاملة..

أما قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا}، فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، ويدل ظاهرها على إكمال الفرائض والأحكام، وقد سبقت الإشارة إلى ما رُوِي في نزول آية الربا، وآية الدَّيْن، آية الكَلالة، وغيرها بعد ذلك. لذا حمل كثير من العلماء إكمال الدين في هذه الآية على أن الله أتم عليهم نعمته بتمكينهم من البلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، وحجهم وحدهم دون أن يشاركهم في البيت الحرام أحد من المشركين، قال القاضي أبو بكر الباقلاني في "الانتصار" مُعلقًا على اختلاف الروايات في آخر ما نزل: "هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلًّا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي -صلى الله عليه وسلم- في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو، ويحتمل أيضًا أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب"[2].

وتفصيلا لهذا الموضوع تحدث العلماء عن أول ما نزل بمكة وآخر ما نزل بها، وأول ما نزل بالمدينة وآخر ما نزل بها، بل تحدثوا عن الترتيب الأصلي للسور في نزولها سورة بعد سورة، وأول ما نزل في موضوع خاص كأول ما نزل في القتال والخمر والأطعمة.. ورغم بعض الاختلاف الوارد في ذلك إلا أنه يدل على عنايتهم البالغة بالقرآن الكريم وحرصهم على حفظه من كل جوانبه وبالخصوص تاريخ نزوله لأن كل شيء يصح عن القرآن يرجع بالفائدة على فهمه أحسن الفهم والعمل به على أحسن وجه.

الناسخ والمنسوخ.

تعريف النسخ في اللغة: قد يطلق بمعنى الإزالة، ومنه يقال نسخت الشمس الظل أي أزالته ونسخت الريح أثر المشي أي أزالته ونسخ الشيب الشباب إذا أزاله، وقد يطلق بمعنى نقل الشيء وتحويله من حالة إلى حالة مع بقائه في نفسه، فيقال نسخ ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى، ومنه تناسخ الأرواح بانتقالها من بدن إلى غيره عند القائلين بذلك من الملحدين، ومنه نسخ الكتاب بما فيه من مشابهة النقل وإليه الإشارة بقوله تعالى: " إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون" الجاثية/29 والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف أو من الصحف إلى غيرها، وذهب الغزالي إلى أن اسم النسخ مشترك بين هذين المعنيين، وذهب أبو الحسين البصري إلى أنه حقيقة في الإزالة مجاز في النقل، وذهب القفال من أصحاب الشافعي إلى أنه حقيقة في النقل والتحويل.

تعريفه اصطلاحا: هو رفع حكم شرعي بخطاب شرعي آخر متراخ عنه في النزول.

معرفة النَّاسخ والمنسوخ باب عظيم من علوم القرآن. ومن أَراد أَن يخوض فى بحر التفسير ففَرْضٌ عليه معرفته، والاطِّلاع على أَسراره، ليسلَم من الأَغلاط، والخطأ الفاحش، والتأْويلات المكروهة، والعلم به عظيم الشأن وقد صنف فيه جماعة كثيرون منهم قتادة بن دعامة السدوسي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وهبة الله بن سلام الضرير وابن العربي وابن الجوزي وابن الأنباري.. وغيرهم

[1] أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409ه، ص 260/7.

[2] مباحث في علوم القرآن، ص 1/ 71.

الإيمان بالناسخ والمنسوخ: النسخ علم قرآني ورد ذكره في آياته وآمن به المسلمون، لكن غير المسلمين وخاصة اليهود لا يعترفون بموضوع النسخ وأجمعوا على أنَّه لا نسخ فى شريعة موسى، وحكمُ التوارة باقٍ إلى انقراض العالَم. وقالوا: إنَّ النسخ دليل على النَّدامة، ولا يليق بحكيم أن يبدل كلامه، ثم وقعوا في شر من ذلك حين حرفوا التوراة ونسخوا ما فيها من التوحيد والحق بأهوائهم، وأنكرت النسخ طائفة الرافضة المنحرفة عن الكتاب والسنة، وأَمَّا أَهل السنَّة وجماهير طوائف المسلمين فقد أَثبتوا النسخ، وأَنّ القرآن مشتمِل على الناسخ والمنسوخ، وأَنَّ الحكمة الرَّبانية تقتضى ذلك، لأَنَّ الله تعالى أَحكم الحاكمين، وطبائع الخَلْق مختلِفة؛ والأَزمنة، والأَوقات متفاوِتة، وأَىُّ حكمة أَبلغُ وأَتمُّ من شريعة تنزل على وفق طبائع الناس ورعاية لمصالحهم بحسب الوقت والزَّمان، كسائر التَّصرُّفات الإلهيَّة فى العالم من تغيير الفصول والأَيَّام، بالبَرْد والحَرّ، والاعتدال، وتبديل أَحوال العباد بالإغناء، والإفقار، والإصحاح، والإعلال، وغير ذلك: من أَنواع التصرُّفات المختلفة الَّتى فى كلِّ فرد من أَفرادها حكمة بالغة، وإذا كان تصرُّفه تعالى فى مِلكه ومُلكه يقتضى الحكمة، ولا اعتراض لمخلوق، فكذلك الأمر فى الشرائع والفرائض: تارة يأْمُر، وتارة ينهى، ويكلِّف قوماً بشرع ثقيل، كبنى إسرائيل، وآخرين بشرع خفيف كالأُمَّة المحمَّدية. وهو فى كلِّ هذه التصرُّفات مقدَّس الجناب منزَّه الحَضْرة عن لائمة المعترِضين، ولما كان محمَّد خاتم الرُّسل، والقرآن خاتم الكتب، وشَرْع القرآن خاتم الشرائع، نُسخ فى عهده بعضُ القرآن ببعض، لِما عند الله من الحكمة البالغة فى ذلك، ولِما يتضمَّن من رعاية ما هو أَصلح للعباد، وأَنفع للمَعَاد. وأَمَّا بعدما تم نزول القرآن وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم فقد صار القرآن والسنة محروسين من النَّسْخ، والتغيير، بدليل قوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

وجوب معرفة النَّاسخ والمنسوخ: رأَى علىٌّ رضى الله عنه عبد الله بن دَأْب فى مسجد الكوفة وهو يجيب عن المسائل، فقال له: هل تعرف النَّاسخ من المنسوخ؟ قال: لا؛ قال: فما كنيتك؟ قال أَبو يحيى. قال: أَنت أَبو اعرفوني بالجهل. ثمَّ أَخذَ بأُذُنه، وأَقامه عن مجلسه. فقال: لا يحلُّ لك روايةُ الحديث فى هذا المسجد، ولا الجلوس فى مثل هذا المجلس حتَّى تَعْلم النَّاسخ من المنسوخ[1].

شروط النَّاسخ والمنسوخ: أَحدها أَن يكون كلٌّ منهما شرعيًّا. الثَّانى أَن يكون النَّاسخ متأَخِّراً عن المنسوخ. الثالث أَن يكون الأَمر بالمنسوخ مطلقاً غير مقيَّدٍ بغاية. والرَّابع أَن يكون النَّاسخ كالمنسوخ فى إِيجاب العلم والعمل. الخامس أَن يكون النَّاسخ والمنسوخ منصوصين بدليل خطاب (أَو بمفهوم خطاب).

الحكمة فى النسخ.

أَوَّلها: وأَجلُّها إِظهار الرُّبوبيَّة، فإِنَّ بالنَّسخ يعني أن الله تعالى يفعل ما يشاءُ، ويحكم ما يريد.

الثَّانى: اختبار عبودية المسلمين، كأَنَّ العبد منتظِر لإِشارة سيده، كيفما وردت وبأَىِّ وجه صدرت يعمل بها مظهرا كمال الخضوع والانقياد، وبالتالي تمييز المتمرِّد من المنقاد، وأَهلُ الطَّاعة من أَهل العناد.

الثالث: التيسير، ورفع المشقَّة عن العباد، برعاية المصالح {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ}.

الرابع: نقل الضعفاءِ من درجة العسر إِلى درجة اليسر {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}.

مجال النسخ: الصَّحيح أَنَّ النسخ يتعلَّق بالأَمر والنَّهى فقط. وأَمَّا الأَخبار كالقصص والسير فممنوعة عن النسخ، لأَنَّ المخبِر الصادق يصير بنسخ خبره كاذباً.

سبب نزول آية النَّسخ: هو أَنَّ كفَّار مكَّة ويهودَ المدينة لَمَّا صرَّحوا بتكذيب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم، وقالوا: إِنَّ هذا الكلام مختلَق، لأَنَّه يأْمر بأمر، ثم ينهى عنه، ويقرِّر شرعاً، ثمَّ يرجع عنه، فما هو إِلاَّ من تِلقاءِ نفسه، فنزلت {وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} ووردت الإِشارة إِلى النسخ فى الآية الأُخرى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَى قادر على إِنفاذ قضائه وقَدَره، فيقدِّم من أَحكامه ما أَراد، ويؤخِّر منها ما أَراد، ويثقِّل الحكم على من شاءَ، ويخفِّفه عمَّن شاءَ.

[1] علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة،ط5 ،1401هـ/1981م، ص 10 /280.

أنواع المنسوخ: الأول: ما نُسخت كتابتُه وقراءَته كما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نقرأ سورة تعدل سورة التوبة ما أحفظ منها إلا هذه الآية: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ولو أن له ثالثا لابتغى إليه رابعا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)[1]، و كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أقرأني رسول الله آية أو سورة فحفظتها وأثبتها في مصحفي فلما كان الليل رجعت إلى حفظي فلم أجد منها شيئا وغدوت على مصحفي فإذا الورقة بيضاء فأخبرت رسول الله فقال يا ابن مسعود تلك رفعت البارحة[2]، ونسخ صوم يوم عاشوراء، و صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر، و حكم الزكاة إلى ربع العشر بعد أَن كان الفاضل عن قُوت العيال صدقةً وزكاة، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان فيما أنزل الله عز و جل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثم نسخن (بخمس معلومات) فتوفى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهي مما يقرأ من القرآن[3].
الثَّانى ما نُسِخ خَطُّه، وكتابته، وحكمه باقٍ؛ كما روى كثير بن الصلت قال كان بن العاص وزيد بن ثابت يكتبان المصاحف فمروا على هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) فقال عمر لما أنزلت هذه أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت أكتبنيها قال شعبة فكأنه كره[4].
الثالث ما نُسخ حكمه وخَطّه ثابت، وذلك فى ثلاثة وستين سورة مثل: قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ" [البقرة/240] كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها اعتدت سنة كاملة، ثم نسخ بقوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا" [البقرة/234]، ومثل الإعراض عن المشركين والصّفح عنهم نُسخ بآية السّيف: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً}. وّ نفى المشركين من الحَرَم والمسجد الحرام {فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هذا} .. والحكمة من رفع الحكم وبقاء التلاوة هي أن القرآن لا يتلى لكونه شريعة فقط، بل لكونه كلام الله تعالى فتركت بعض الآيات للثواب بقراءتها، ثم إن النسخ غالبا ما يكون للتخفيف، فتبقى الآيات الأولى ليتذكر بها المسلم نعمة الله عليه ويشكره على تيسير الدين.

وحدد العلماء بدقة السور التي تضمنت الناسخ دون المنسوخ وهي 6 سور، والتي تضمنت المنسوخ دون الناسخ وهي 40 سورة، والتي تضمنت الناسخ والمنسوخ معا وهي 31 سورة، والتي ليس فيها لا ناسخ ولا منسوخ 43 سورة من أجل غلق هذا الباب التوقيفي وخطورة الاجتهاد فيه[5].

المحاضرة الثامنة: السياق التداولي: القراءات القرآنية.

تعريف علم القراءات: في اللغة جمع قراءة و هي مصدر قرأ وهو اصطلاحا علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها من تخفيف وتشديد وغيرها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله.

موضوعه: كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها، وكيفية دائها.

ثمرته وفائدته: العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به ومالا يقرأ به.

فضله: أنه من أشرف العلوم الشرعية، أو هو أشرفها لشدة تعلقه بكتاب الله تعالى.

واضعه: أئمة القراءة، وقيل أبو عمر حفص بن عمر الدوري، وقيل الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأول من دون فيه أبو عبيد القاسم بن سلام.

---

[1] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه، ص 9.
[2] هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم، ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405ه، ص 19.
[3] السنن الكبرى للنسائي، ص 298/3، وصححه الألباني في الصغرى.
[4] مسند أحمد ص/183/5 وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات.
[5] للتفصيل: البرهان في علوم القرآن، ص 33/2.

مصدره: من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

حكمه: الوجوب الكفائي تعلما وتعليما.

مسائله: قواعده الكلية كقولهم: كل ألف منقلبة عن ياء يميلها حمزة والكسائي وخلف، ويقللها ورش بخلف عنه - وكل راء مفتوحة أو مضمومة وقعت بعد كسرة أصلية أو ياء ساكنة يرققها ورش، وهكذا.

منشأ الاختلاف في القراءات: إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها هو أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف التي كتبت في عهد الخليفة عثمان كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة وتلقُّوا عنه القرآن، وكانت المصاحف خالية من النَّقط والشَّكْل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعًا عن الصحابة بشرط موافقة ذلك لخط المصحف العثماني، وتركوا ما يخالفه امتثالا لأمر الخليفة عثمان رضي الله عنه، وعلى هذا يتضح لك أن الاختلاف في القراءات ليس اختلاف تَضَادٍ أو تناقض، لاستحالة وقوع ذلك في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكنه اختلاف تَنَوُّعٍ وتغايرٍ، وقد أقرأ كل صحابي أهل إقليمه بما سمعه تلقيًا من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وهي قراءة يحتملها رسم المصحف العثماني الذي أرسل منه نسخ إلى جميع الآفاق فمثلا لفظ: "فتبينوا" من قوله تعالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} من غير نقط يحتمل قراءة "فَتَثَبَّتُوا"، وعلى هذا فقد تمسك أهل كل إقليم بما تلقوه سماعًا من الصحابي الذي أقرأهم وتركوا ما عداه؛ ولهذا ظهر الخلاف بين القراءات[1]، وكان المشتهرين بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعلي، وأُبَي، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري.

أمثلة على اختلاف القراءات: (مالِك يوم الدين/ملك يوم الدين)، (يَكذبون/ يُكذّبون)، (ظُلُمات/ظُلْمات) ..

أنواع القراءات: نوعان: صحيحة وباطلة، الصحيحة ما توفرت فيها شروط ثلاثة، والباطلة ما اختل فيها شرط من تلك الشروط ويقال عنها قراءة شاذة ولا تجوز القراءة بها.
* **شروط** القراءة الصحيحة ثلاثة يجب أن تتوفر جميعا وهي:

1 _ موافقتها لرسم المصحف الإمام (الرسم العثماني)، وللتمثيل للقراءات المخالفة له: (السارق والسارقة فاقطَعوا أيمانهما)، (وأنذر رهطك منهم المخلصين)، (وأقيموا الحج والعمرة لله)..

2 _ نقلها بالتواتر، وصحة إسنادها.

3 _ موافقتها لوجه من وجوه اللغة العربية سواء أكان أفصح أم فصيحا، والمراد بالموافقة الاحتمالية أي إذا تعددت احتمالات القراءة للآية الواحدة ووافقت هذه الاحتمالات إعرابا صحيحا فالقراءة جائزة، وإن وافقت إعرابا شاذا أو قياسا ضعيفا لم تقبل.

أمثلة على القراءات الشاذة: "الحمدُ لُله" بضم الدال واللام[2]، قراءة: (هياك نعبد وهياك نستعين)، (خِفتُ الموالي/ خَفَّت الموالي)..
القراءات وحي: القراءات وحي تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل و قرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على الصحابة الكرام و نقلت عنه بالتواتر ومن المعلوم أن الصحابة قد اختلف أخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من أخذ منه بطريقة ما ومنهم من أخذ منه بطريقة أخرى ثم تفرقوا في البلاد على هذا الحال فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين عنهم و هلم جرا ... حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء الذين سجلوا هذه القراءات .

[1] عطية قابل نصر ،غاية المريد في علم التجويد، كلية المعلمين، القاهرة، ط7، دت، ص 23.
[2] تفسير ابن كثير، ص 128/1.

الفرق بين القراءة والرواية والطريق: كل خلاف نسب لإمام من الأئمة العشرة مما أجمع عليه الرواة عنه فهو قراءة، وكل ما نسب للراوي عن الإمام فهو رواية، وكل ما نسب للآخذ عن الراوي وإن سفل فهو طريق.

ملاحظات :

1. لا خلاف بين المسلمين في أن القراءات المشهورة الصحيحة لا يمكن أن تتناقض .
2. القراءات الصحيحة الثابتة كثيرة (أشهرها عشرة) وليست محصورة بالقراءات السبع .
3. القراءات كلها من حرف قريش الذي وصل إلينا.

الحِكمة من تعدد القراءات : _ التخفيف و التيسير على هذه الأمة في قراءة القرآن .

_ الدلالة على إعجاز الله تعالى لخلقه بالقرآن فهو لا يتعارض منه شيء رغم قراءته على عدة أوجه.

_ شرح الألفاظ، وهذا يوجد في اختلاف الأحرف، ومثاله (فامضوا إلى ذكر الله) شرحت: "فاسعوا إلى ذكر الله" أي أن السعي لا يقصد به الإسراع وإنما المشي بتؤودة.

_ بيان الأحكام، كقراءة: "يطهرن" في قوله تعالى: {وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ}، قُرِئ بالتشديد والتخفيف، فقراءة التشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف عند الجمهور، فالحائض لا يحل لزوجها وطؤها بمجرد الطهر من الحيض، أي بانقطاع الدم، وإنما حتى تتطهر بالماء وهذا ما يدل عليه التشديد.

القراء العشرة و رواتهم :

1. نافع المكي و راوياه هما : قالون وورش .
2. ابن كثير المكي و راوياه هما : قنبل والبزي .
3. أبو عمر البصري و راوياه هما : الدوري والسوسي .
4. عبد الله الشامي و راوياه هما : ابن ذكوان وابن عمار .
5. عاصم الكوفي وراوياه هما : شعبة وحفص .
6. حمزة الكوفي و راوياه هما : خلف وخلاد .
7. علي الكسائي و راوياه هما : الدوري والليث .
8. أبو جعفر القعقاع و راوياه هما : ابن وردان وسليمان بن حجار .
9. يعقوب ابن إسحاق وراوياه هما : رويس وعبد المؤمن الدؤلي .
10. خلف البزار و راوياه هما : الوراق وإدريس ابن عبد الكريم .

المحاضرة التاسعة: مناهج التفسير ونقدها:

تعريف التفسير: التفسير في اللغة يعني الإيضاح والتبيين، ووزنه تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف[1]، والتفسير في الاصطلاح هو علم يفهم به كتاب الله تعالى وذلك ببيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكمه. وقالوا في تعريفه: هو علم يبحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية[2]، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية، و**الغرض** منه معرفة معاني النظم، و**فائدته** حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة، و**موضوعه** كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، و**غايته** التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليُفاز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

شرف التفسير: والتفسير من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة. ومعدن كل فضيلة ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد وأن يكون موافقًا للشرع، وموافقته على العلم بكتاب الله[3].

---

[1] لسان العرب، ص 55/5، باب فسر.

[2] مناهل العرفان، ص 3/2.

[3] مباحث في علوم القرآن، ص 1/ 339.

الفرق بين التفسير والتأويل: اختلف العلماء في تحديد معناهما، فقال بعض العلماء إنهما بمعنى واحد، وقال آخرون التفسير أعم من التأويل لأنه يستعمل في الكتب الإلهية وغيرها وأما التأويل فيستعمل في الكتب الإلهية فقط، تقول : فسرت الكلمة الورادة في بيت الشعر ولا تقول أولت ذلك، وقال بعضهم: أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والمفردات، أما التأويل فأكثر ما يستعمل في المعاني والتراكيب[1]..

أصول التفسير.

أصول التفسير مبحث مهم تفرقت موضوعاته في مقدمات بعض التفاسير وفي كتب أصول الفقه، ومن أشهر الذين أفردوه في كتاب خاص من المتقدمين ابن تيمية في رسالة طبعت بعنوان "مقدمة في أصول التفسير" وافرده بالتأليف من المتأخرين العلامة الشيخ عبد الحميد الفراهي من علماء الهند ورسالته عنوانها "التكميل في أصول التأويل" .. والبحث في أصول التفسير ما زال متسعاً لمزيد من الدراسة و التأليف، وسنلمس هذا المبحث لمسات تتناول النقاط الثلاث الآتية :

(أ) العلوم التي لابد من تحصيلها ليتسنى لنا تفسير القرآن، (ب) الشروط الواجب توفرها في المفسر، (ج) أهم قواعد أصول التفسير.

أولاً : العلوم التي يحتاج إليها المفسر: اشترط العلماء فى المفسِّر الذى يريد أن يُفسِّر القرآن برأيه بدون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور منه فقط، أن يكون مُلِماً بجملة من العلوم التى يستطيع بواسطتها أن يُفسِّر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسِّر من الوقوع فى الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم.

1. اللغة والاشتقاق: لأننا باللغة نعرف معاني المفردات، وفهم حقائق الألفاظ المفردة يكون باستقصاء المعاني التي دلت عليها هذه الكلمة في آيات القرآن، قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[2]، ولا يكف أن يكون المفسر عالما بمعاني المفردات فحسب؛ بل يكون عارفا بالفصيح منها حتى لا يحيل معاني القرآن إلى الشاذ والبعيد كما فسر أحدهم البرد في قوله تعالى: "لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا" بالنوم، وتسمية البرد بالنوم موجود في لغة العرب لكنه شاذ[3].

2. النحو والصرف: لأن المعنى يتوقف في أحيان كثيرة على معرفة الإعراب، ويقع الذين يجهلون هذا العلم ويتصدون للتفسير في أغلاط شنيعة، قال الحسن البصري: " .. فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى يوجهها(يعربها) فيهلك فيها"[4]، أما الصرف فبواسطته تعرف الأبنية والصيغ والأوزان، ومن ثم المعاني الصحيحة للألفاظ.

3. الأدب وعلوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع): ذلك لأن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير، فلا بد من الإشارة إلى نواحي الجمال الفني في الآية وتحليلها.

4. علوم القرآن : ذلك لأن معرفة هذه العلوم من أهم الأدوات التي لا بد منها لعملية التفسير، فمعرفة أسباب النزول تساعد كثيراً على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق، وكذلك معرفة المكي والمدني تعين في إدراك معاني الآيات، وكذلك هو الحال في معرفة الناسخ والمنسوخ فإنه لها أهميتها القصوى في تفسير الآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد، وكذلك فالمحكم و المتشابه من الأمور الأساسية في التفسير، حتى نتخلص من عناء الدخول في متاهات المتشابه، ولنصرف جهدنا وطاقاتنا في تفسير المحكم، وعلم القراءات يساعدنا على ترجيح بعض الوجوه على بعض، وعلم القصص يفصل بعضه بعضا،

5. علوم أصول الدين والتوحيد: وذلك لأن هذا الكتاب الكريم يتضمن نظرة جديدة إلى الكون والحياة والإنسان متمثلة في العقيدة الإسلامية، فإدراك أصول هذه العقيدة يساعد مساعدة تامة في شرح الآيات الكريمة المتعلقة بذلك .

6. علم أصول الفقه: لأننا بواسطة هذا العلم نستطيع أن نعرف استنباط الأحكام من النص، ووجه الاستدلال على الأحكام.

7. الحديث النبوي والفقه والسيرة : أما الحديث ففيه تفسير لعدد من آيات القرآن، إذ كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم الأولى تبيان ما نزل إليه، وفيه تفصيل للمجمل وبيان للمبهم، وأما الفقه الإسلامي فإنه يعرض الأحكام الإسلامية التي ذكرها القرآن مبوبة مجموعة، فيساعد استحضارها على تصور دقيق لمعاني آيات الأحكام.

---

[1] مباحث في علوم القرآن، ص 1/ 338.

[2] البرهان في علوم القرآن، ص 1 / 292.

[3] خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار ابن عفان، ط1، 1421ه، ص1/ 213 .

[4] الإتقان في علوم القرآن، ص 2 / 477.

8. العلم بقواعد الترجيح لأن تخيل التعارض بين آية وأخرى أو آية وحديث أو آية وقاعدة لغوية وارد على أذهان الناس، فيكون المفسر قادرا على إزالة هذا التعارض بمعرفة طرق الجمع والترجيح بين الآيات والقراءات واللغات والقواعد الفقهية وغيرها، وللتمثيل على هذه القواعد: إتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه، إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك، الحقيقة العرفية مقدمة على الحقيقة اللغوية[1]..

9. علوم أخرى: كالعلوم الاجتماعية والعقلية والكونية وما يتصل بالثقافة العامة، فالتاريخ والجغرافيا والاجتماع وعلم النفس والفلك ... كل هذه العوم مما يساعد على تفسير القرآن تفسيراً يتصل بحياة الناس.

10. علم الموهبة: وهو علم يُورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}.

ثانيا : الشروط التي يجب أن تتوفر في المفسر: نستطيع أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام :

1. شروط علمية : تتلخص بإتقان المفسر قدراً جيداً من العلوم التي ذكرت آنفاً.
2. شروط عقلية : وهي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفاً باختلاف الأقوال على حقيقته .
3. شروط دينية وخلقية: وهي أن يكون صحيح العقيدة، مؤدياً للواجبات الدينية، ملتزماً بالآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الإسلام وأن يكون محرراً من سلطان الهوى، شديد الخشية لله تعالى مخلصا في علمه وعمله، مستشعرا لخطر الإقبال على التفسير.

ثالثا: قواعد التفسير: من أهم الأصول التي يجب مراعاتها أن تكون خطوات التفسير متدرجة كما يلي:

1. أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع فإنه قد فصل في موضع أخر، وما أختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان أخر.
2. أن يطلب التفسير من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن موضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما تصدر منه عن طريق الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)، وذكر الله السنة مبينة للكتاب : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)، يعنى القرآن والسنة، قال الشافعي رضي الله عنه: (كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن).
3. فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح.

4. فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فإنه يرجع إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين، لأن الكثير من التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة.

5. فإذا لم يجد فيما يبق شيئا يلجأ إلى التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمفهوم من قوة الشرع وأصوله، وهذا هو الذى دعا به النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال: "اللَّهم فقِّهه فى الدين وعلِّمه التأويل"[2] والذى عناه علىٌّ رضى الله عنه بقوله - حين سُئِل: هل عندكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ بعد القرآن؟ فقال: "لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهم يؤتيه الله عَزَّ وجَلَّ رجلاً فى القرآن"[3]، ومن هنا اختلف الصحابة فى فهم بعض آيات القرآن، فأخذ كلٌ بما وصل إليه عقله، وأدَّاه إليه نظره

6. ومن القواعد ما ذكره ابن القيم في كتابه "بدائع الفوائد" في قوله:

(وتستفاد الإباحة من لفظ الإحلال، ورفع الجناح، والإذن، والعفو، وإن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع وما يتعلق بها من الأفعال نحو: "ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثا " ونحو: "وبالنجم هم يهتدون"، ومن السكوت عن التحريم).

---

[1] للتفصيل: حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح بين المفسرين، دار القاسم، الرياض، ط1، 1417ه/ 1996م.

[2] مسند أحمد بن حنبل، 1/ 266، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

[3] مسند أحمد بن حنبل، 1/ 79، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

7. ومن قواعد التفسير الواجبة: الاحترام الشديد للقرآن والحذر من الاستهانة بمعانيه، فيجب على المفسر اختيار الألفاظ المؤدبة في تفسيره واجتناب ما يدل على الجرح والاستعلاء كقوله هذا لفظ زائد، ولو قال كذا لكان أحسن، وهذا تكرار، وهذا لا فائدة منه..، كما يتجنب القطع بصحة المعاني التي يوردها ويدعي الحق فيها ولا يخوض في المتشابه كالحروف المقطعة وعلم الغيب ولا يجعل من غايات تفسيره التأييد لمذهبه أو جماعته أو زعيمه .. فإن هذا من أقبح الأعمال.

رابعا: تاريخ التفسير. مر التفسير بثلاثة مراحل أساسية، الأولى للنشأة والثانية والثالثة للنضج والاكتمال، هذا من حيث التكوين، أما من حيث التدوين فقد كان معظمه وأحسنه بعد هذه المراحل الثلاثة.

المرحلة الأولى: التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم**:**

نزل القرآن الكريم على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين قومه الفصحاء البلغاء، فلم يصعب فهمه بالإجمال على معظمهم، وكان سبباً في دخول عدد كبير منهم في الإسلام، ولما كانت معاني القرآن لا تحد ولا يحاط بها، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق فهماً لهذا الكتاب كان من مهماته الأساسية أن يبين للناس ما نزل إليهم.

والقرآن يحوي نظرة إلى الحياة والإنسان جديدة على العرب، ومن أجل ذلك فهم محتاجون إلى مزيد من الشرح والبيان لها حتى يقفوا عليها ويعوها حق الوعي، لا سيما وأن في القرآن المجمل، والعام، والمشكل، وفيه مفردات لا يفهما بعضهم، فقد كان بعض الصحابة يكتفي بالمعنى الإجمالي لآيات القرآن الكريم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاوتون في فهم القرآن تبعاً لما يأتي:

1. تفاوت مواهبهم. 2. تفاوت إطلاعهم على لغتهم وأدبها ولهجاتها . 3. تفاوت معرفتهم بأسباب النزول القرآن الكريم.

وعليه فإن كثيراً من مواضع القرآن كانت تثير بعض الأسئلة عند بعض الصحابة فيتوجهون بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، وكان يسأل بعضهم بعضاً عن معاني مفردات القرآن الغامضة والآيات بعد وفاته صلى الله عليه وسلم .

المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة:

اتسعت مادة التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم وكانت قائمة على ما يأتي من الأمور:

1. تفسير القرآن بالقرآن .
2. ما كان يحفظه الصحابة من تفسيرات النبي صلى الله عليه وسلم.
3. ما كانوا يستنبطونه من الآيات، وكانوا يعتمدون في ذلك على قوة فهمهم وإدراكهم.
4. ما كانوا يسمعونه من أنباء أهل الكتاب (أصحاب الكتب السماوية السابقة) الذين دخلوا في الإسلام.

_ أشهر الصحابة في التفسير :

1. عبد الله بن عباس. 2. عبد الله بن مسعود. 3. علي بن أبي طالب. 4. أبي بن كعب. 5. أبوبكر الصديق. 6. عمر بن الخطاب. 7. عثمان بن عفان. 8. زيد بن ثابت. 9. أبو موسى الأشعري. 10. عبد الله بن الزبير.

وأهم هؤلاء في التفسير الأربعة الأوائل، وقد تم ترتيبهم حسب أهميتهم في التفسير وكثرة ممارستهم له، فأوسع الصحابة اشتغالاً بالتفسير هو عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

_ قيمة تفسير الصحابة : ننظر في التفسير المنقول عن الصحابة :

1. فإن كان مرفوعاً (منقولا) عن النبي صلى الله عليه وسلم فله حكم التفسير بالحديث النبوي، أي يكون حجة إن صح سنده.
2. وإن لم يكن مرفوعاً ننظر فيه، فإن كان متعلقاً بأسباب النزول أو بما لا يكون من قبيل الرأي والاجتهاد أعطيناه حكم المرفوع وكان حجة إن صح سنده.
3. أما إذا كان من قبيل الاجتهاد والاستنباط أو ليس متعلقاً بأسباب النزول كان موقوفاً على الصحابي ورأي الصحابي ليس ملزما، مع التنبيه إلى أن تفسير الصحابة إن كان معتمدا على اللغة التي هم أدرى الناس بها فهو ملزم أيضا.

المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين:

جاء التابعون فنقلوا روايات التفسير عن الصحابة التي تعاظمت، وزادوا فيها ما استنبطوه (فهموه)

بأنفسهم، وما زال التفسير يتضخم في عهدهم حتى اجتمع منه الشيء الكثير، ولكن هذه الأقوال في التفسير لم تكن مجموعة ولا مرتبة بشكل منظم وفق ترتيب المصحف، بل كانت تروى منثورة ومتفرقة بين روايات الفقه والسيرة وغيرهما، أي إن التفسير كان مختلطاً بالحديث والفقه والتاريخ ... غير مميز عن بقية العلوم.

وكان التابعون من أهل كل بلد يعنون برواية ما سمعوه من التفسير عن الصحابي الذي يقيم في بلدهم، فاختص المكيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن عباس، واختص المدنيون برواية ما ورد من التفسير عن أبي بن كعب، واختص الكوفيون برواية ما ورد من التفسير عن ابن مسعود، وهذه المدارس الثلاث أهم مدارس التفسير في عهد التابعين.

_ **قيمة تفسير التابعين:** اختلف العلماء في الأخذ بأقوال التابعين في التفسير، فمنهم من أخذ بأقوالهم ومنهم من لم يأخذ بذلك، ويروى عن أبي حنيفة أنه قال: "ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس و العين، وما جاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال"[1]، لكن إذا أجمع التابعون على رأي فعندئذٍ يتوجب الأخذ به لأن إجماعهم يدل على وجود نص ملزم.

المحاضرة العاشرة: التفسير بالمأثور.

اتجاهات التفسير. ظل التفسير على مدى القرون يتجدد ويتوسع ولما اختلفت قدرات المفسرين من حيث العلوم التي تمكنوا منها وبرعوا فيها ظهر أثر ذلك على شكل ميولات علمية في تفاسيرهم وطابع عام، ومن هنا ظهرت اتجاهات متعددة في التفسير وما لبثت حتى أصبحت مدارس متخصصة لكل منها خصائصها ومؤلفاتها ومؤيدون ومعارضون، فما هي هذه المدارس وخصائصها؟ وقبل بيان ذلك أود الإشارة إلى أسباب اختلاف المفسرين:

أسباب اختلاف المفسرين: هذه الأسباب نوعان: منها ما ينشأ عنه التباين بين المدارس المختلفة، ومنها ما ينشأ عنه التباين داخل المدرسة الواحدة.

1_ ما ينشأ عنه التباين بين المدارس: _ الميولات والاهتمامات العلمية، فمنهم من يغلب عليه الحديث و منهم من يغلب عليه الفقه و منهم من تغلب عليه اللغة، و منهم من يغلب عليه التصوف أو الدعوة والإصلاح الاجتماعي... _ الميولات العقدية والطائفية، كمن عرف بالاعتزال أو التشيع أو الفلسفة وعلم الكلام.. _ الاختلاف في طرق التفسير وقواعده، منهم من يقدم الحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية ومنهم من يفعل العكس، ومنهم من يقدم تفسير القرآن بالسنة على تفسيره الرأي ومنهم من يفعل العكس ...

2 ما ينشأ عنه التباين داخل المدرسة الواحدة: هذه الأسباب كثيرة منها:

_ الاختلاف في القراءات، الاختلاف في وجوه الإعراب، احتمال اللفظ لعدة معاني، الاختلاف في اعتبار الحقيقة والمجاز، اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ودرجة صحتها[2]...

الفرق بين مناهج التفسير وأساليب التفسير[3]: منهج التفسير هو الطابع العام الذي يغلب على التفسير ويسمى لونه وتخصصه، فهذا تفسير لغوي وهذا تفسير إشاري وهذا تفسير علمي وهكذا وسيأتي تفصيل هذه المناهج، أما أسلوب التفسير فهو طريقة جزئية متبعة في تناول آياته واحدة بعد الأخرى وأشهر هذه الأساليب هي:

_ التفسير التحليلي، ويقوم على تناول الآيات على ترتيب المصحف وعند كل آية يتحدث عن نقاط محددة كنحوها وصرفها وسياقها وفقهها.. _ التفسير الإجمالي، ويقوم على تقسيم السورة إلى محاور وموضوعات ثم يقوم المفسر بالتحليل والشرح لتلك الوحدات الموضوعية المجملة مركزا على العلاقة بينها ومقاصدها.

---

[1] شمس الدين بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417ه/م1996، ص 401/6.

[2] خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيرت، ط2، 1406ه/ 1986م، ص 83، وانظر: سعود بن عبد الله الفنيسان، اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، دار إشبيليا، الرياض، ط1، 1418ه/1997م.

[3] لرؤية وجهة نظر أخرى في الفرق بينهما: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، ط4، 1419ه، ص 55.

_ التفسير الموضوعي، ويقوم على اختيار موضوع مشترك بين عدة سور كموضوع الربا أو العلاقة بين الزوجين أو الحرب ثم يجمع له الآيات ذات الصلة ويقوم بترتيبها وتقسيمها ليرسم بها خطة ذات فصول ومباحث تنتج عنها دارسة شاملة لذلك الموضوع في ضوء القرآن الكريم.

التفسير بالمأثور: خصائصه أعلامه نقده. التفسير بالمأثور اتجاه من أهم اتجاهات التفسير وأجدرها بالعناية وهو أقدم هذه الاتجاهات وأفضلها، والمقصود به أن تفسر الآية من آيات القرآن الكريم بما يلي:

1. بما جاء في القرآن نفسه في موضع آخر ورد فيه معنى هذه الآية، كتفسير لفظ "المطففين" بما بعدها ولفظ "القيوم" بما بعده.
2. وبما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير، فالسنة المطهرة تبين معاني الألفاظ وتبين ما أجمل في القرآن وتوضح المشكل وتخصص العام وتقيد المطلق وتزيد عليه من الأحكام.. ومثاله تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى[1].
3. وبما نقل عن الصحابة والتابعين مما يتصل بشرح الآية.

هل تفسير الصحابة و التابعين من المأثور؟

اختلف العلماء في اعتبار تفسير الصحابة والتابعين من المأثور، فمنهم من عده مأثوراً ومنهم من لم يعده كذلك، ولعل الرأي الصحيح هو أن ما جاء عن الصحابة والتابعين العدول فيما ليس من باب الاجتهاد والاستنباط وإنما هو متوقف على السماع من النبي صلى الله عليه وسلم يعد من التفسير بالمأثور، وهو ملزم إن صح سنده، وأما الأقوال المنقولة عنهم مما يتصل بالاجتهاد والاستنباط الخاص فليست من التفسير بالمأثور.

أعلامه:_ ابن عباس، ابن عيينة، ابن أبي حاتم، ابن عطية، الطبري، ابن كثير الدمشقي**..**

نقده: انتقد هذا النوع من التفاسير ببعض الأخطاء التي وقع فيها أصحابه منها:

_ التفسير ببعض الأحاديث الضعيفة _ التفسير ببعض اجتهادات الصحابة والتابعين _ حشوه للإسرائيليات
_ التوقف فيما لا رواية فيه ..

التفسير بالرأي: أعلامه، نقده.

تعريفه: يُطلق الرأى على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأى أى أصحاب القياس، والمراد بالرأى هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأى، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسِّر.

أعلامه: الرازي، النسفي، البيضاوي، الخازن، أبي حيان...

موقف العلماء من التفسير بالرأى: اختلف العلماء منذ القديم فى جواز تفسير القرآن بالرأى، ووقف المفسِّرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين:

المانعون: تشدَّد قوم فى منع التفسير بالرأي، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شئ من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار، وإنما له أن يتوقف عند ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضى الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

أدلتهم: أولاً: التفسير بالرأى قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم منهى عنه, والمفسِّر بالرأى ليس على يقين بأنه أصاب ما أراد الله تعالى، ولا يمكنه أن يقطع بما يقول، وغاية الأمر أنه يقول بالظن،

[1] مسند أحمد بن حنبل، 5/ 32، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

والقول بالظن قول على الله بغير علم، قال تعالى: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وهو معطوف على ما قبله من المحرَّمات من سورة الأعراف: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}.. الآية، وقوله تعالى فى الآية [36] من سورة الإسراء: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}..

ثانياً: استدلوا بقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}، فقد أضاف البيان إليه، فعُلِمَ أنه ليس لغيره شئ من البيان لمعانى القرآن.

ثالثاً - استدَّلوا بما ورد فى السُّنَّة من تحريم القول فى القرآن بالرأى فمن ذلك:

- ما رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم، فمَن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومَن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[1].. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

- ما رواه الترمذى وأبو داود عن جُندب أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[2]، علق عليه الترمذي بقوله: "هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم".

رابعا: ما ورد عن السَلَف من الصحابة والتابعين، من الآثار التى تدل على أنهم كانوا يُعَظِّمون تفسير القرآن ويتحرَّجون من القول فيه بآرائهم، فمن ذلك: ما جاء عن أبي بكر الصديق قوله: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"[3]، وما ورد عن سعيد بن المسيب: أنه كان إذا سُئل عن الحلال والحرام تكلَّم، وإذا سُئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئاً، وما روى عن الشعبى أنه قال: "ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن، والروح، والرأى...

المجيزون: وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأساً من أن يفسِّروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن مَنْ كان ذا أدب موسَّع له أن يُفسِّر القرآن برأيه واجتهاده.

أدلتهم: أولا: الظن نوع من العلم، إذ هو إدراك الطرف الراجح. والظن منهى عنه إذا أمكن الوصول إلى العلم اليقينى القطعى، بأن يوجد نص قاطع من نصوص الشرع، أو دليل عقلى موصل لذلك. أما إذا لم يوجد شئ من ذلك، فالظن كاف هنا، لاستناده إلى دليل قطعى من الله سبحانه وتعالى على صحة العمل به إذ ذاك. كقوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}.. وقوله عليه الصلاة والسلام: " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر"[4]، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "فبِمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسُنَّة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيى، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يُرضى رسول الله"[5].

ثانيا: إنَّ النبى صلى الله عليه وسلم مأمور بالبيان ولكنه مات ولم يبيِّن كل شئ فما ورد بيانه عنه - صلى الله عليه وسلم - ففيه الكفاية عن فكره من بعده، وما لم يرد عنه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده، فيستدلون بما ورد بيانه على ما لم يرد، والله تعالى يقول فى آخر الآية: {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

ثالثا: أن النهى الوارد في الأحاديث محمول على مَنْ قال برأيه فى نحو مشكل القرآن، ومشتابهة، من كل ما لم يُعلم إلا عن طريق النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة عليهم رضوان الله.

---

[1] سنن الترمذي، ص 5/ 199، وقال الألباني: ضعيف.
[2] سنن الترمذي، ص 200/5، وقال الألباني: ضعيف.
[3] مصنف ابن أبي شيبة، ص 136/6.
[4] ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تعليق ناصر الدين الألباني وعناية مشهور بن حسن آل سلمان، ترقيم عبد الباقي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، دت، ص 2/ 776، وقال الألباني: صحيح.
[5] سنن الترمذي، ص 316/3، وقال الألباني: ضعيف.

رابعا: إحجام الصحابة والتابعين عن التفسير بالرأي كان تورعا فقط، وما ترك للتورع لا يحرم فعله.

خامسا: استدلوا ببعض الآيات منها قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ..} وقوله: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُو آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} وقوله: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}، ووجه الدلالة فى هذه الآيات: أنه تعالى حَثَّ فى الآيتين الأوليين على تدبر القرآن والاعتبار بآياته، كما دلّت الآية الأخيرة على أن فى القرآن ما يستنبطه أُولوا الألباب باجتهادهم، ويصلون إليه بإعمال عقولهم.

سادسا: استدلوا بما ثبت من أن الصحابة - رضوان الله عليهم - قرأوا القرآأن واختلفوا فى تفسيره على وجوه، لأنهم توَّصلوا إلى معرفة البعض منه بعقولهم واجتهادهم.

سابعا: دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما: "اللَّهم فقهه فى الدين، وعلِّمه التأويل"، والتأويل يكون بالاجتهاد وإعمال الرأي.

والقول الراجح في هذه المسألة والله أعلم أن التفسير بالرأي ضمن الحدود التي قررها العلماء من التمكن والقدرة والعلم يعتبر جائزا، وهو مطلوب للتفاعل مع كتاب الله عز وجل واستنطاقه في شؤوننا المعاصرة، وما اختلت فيه شروط القدرة العلمية والأدبية والعقلية فهو ممنوع، وبالتالي فالتفسير بالرأي قسمان: قسم جائز وقسم ممنوع.

المحاضرة الحادية عشر: التفسير اللغوي: خصائصه، أعلامه، نقده.

تعريفه: التفسير اللغوي هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب[1]، ولغة العرب يقصد بها ألفاظها وأساليبها، وهي قيد يُخرج التفسير بأسباب النزول وغيره مما لا يتعلق باللغة.

مكانة التفسير اللغوي: لما أنزل الله تعالى كلامه بلسان عربي مبين لم يمكن العدول عن هذا اللسان أو تأخيره في بيان معاني القرآن، ولو وقع ذلك العدول لانحرفت المعاني عن مقصودها بل انقلبت إلى أضدادها، وللتمثيل على ذلك فإن من لم يفرق بين "عن" و"في" في قوله تعالى: " فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ" [الماعون/4، 5] يعتقد أن الويل يلحق كل من سها في صلاته كمن نسي التشهد أو قراءة سورة... وهذا غير مقصود لأنه لا يسلم منه أحد، والمقصود هو السهو عن الصلاة بأكملها بأن لا يؤديها في وقتها، وفي قصة يونس الذي التقمه الحوت قال عنه تعالى: " فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" [الأنبياء/87] فسر بعضهم القدرة بالقوة والغلبة، وهذا خطأ كبير لأن من يظن من الناس بأن الله تعالى لا يقدر عليه كفر فكيف بنبي؟ والصحيح أن القدرة تأتي في اللغة بمعنى التضييق وهو المقصود هنا.

من أجل هذا قال الإمام مالك رحمه الله: " لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر ذلك إلا جعلته نكالا"[2]، وما وقع في تاريخ الفرق الضالة من زيغ عن هدي الإسلام إلا بتخبطها في كتاب الله تعالى بغير علم بلغته.

نشأة التفسير اللغوي: ظهرت بواكير التفسير اللغوي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن بشكل قليل جدا، وذلك لتمكن الصحابة من العربية لفظا ومعنى، باستثناء الألفاظ التي أعطاها القرآن مفهوما شرعيا جديدا يختلف عن المفهوم اللغوي البحت، كالوسط في قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" [البقرة/143] فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالعدل[3]، ثم ظل التفسير اللغوي مطلبا تنامت الحاجة إليه بدخول الأعاجم في الإسلام واشتد ساعده في العراق بين البصرة والكوفة لاحتدام الآراء النحوية بينهما بسبب اختلاف المناهج في البحث والتلقي، حتى أستقل التفسير اللغوي بمؤلفات خاصة.

---

[1] مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط1، 1422ه، ص 38.

[2] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1410ه، ص 425/2.

[3] صحيح البخاري، ص 3/ 1215.

أسلوب التفسير اللغوي: بيان معنى اللفظ في اللغة _ الاستدلال عليه بالشعر أو النثر _ تسمية القبيلة واللهجة _ الوجوه والنظائر[1] ، النحو والصرف في الآية، المعاني الإجمالية.

مصادر التفسير اللغوي: مصادر التفسير اللغوي هي الكتب التي يستمد منه، وهي خمسة أنواع أساسية:

_ كتب التفسير: كثيرة جدا ومن أبرزها: الجامع لعلم القرآن للرماني النحوي والمحرر الوجيز لابن عطية وجامع البيان للطبري.. _ كتب المعاني: هي كتب مباشرة في التفسير اللغوي والمقصود بالمعاني البيان اللغوي لألفاظ وأساليب العربية الواردة في القرآن، ومنها كتاب المعاني القرآن للفراء و معاني القرآن للأخفش ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج. _ كتب الغريب: والمقصود بها الكتب التي انفردت بشرح ألفاظ القرآن الغامضة والصعبة بسبب قلة استعمالنا لها، من هذه الكتب: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وغريب القرآن للسجستاني..

_ كتب المعاجم: مثل كتاب العين للخليل وجمهرة اللغة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري..

_ كتب البلاغة والأساليب البيانية في القرآن. مثل كتاب الكشاف للزمخشري وكتاب في ظلال القرآن لسيد قطب..

بعض قواعد التفسير باللغة: _ مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه أو بنظيره فهو أولى. _ صيغة المضارعة بعد لفظ كان تدل على كثرة التكرار والمداومة على الفعل. _ الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت والفعلية تدل على التجدد. _ المخالفة بين إعراب المعطوفين تدل على اختلاف معنييهما. _ صيغة التفضيل قد تدل على الاتصاف لا على التفضيل. _ تفهم معاني الأفعال على ضوء ما تتعدى به. _ التعقيب بالمصدر يفيد التعظيم أو الذم[2].

المحاضرة الثانية عشر: التفسير البياني والأدبي : خصائصه، أعلامه، نقده.

يجمع البيان القرآني أمورا مهمة تكشف للدارس جوانب عديد من إعجاز هذا الكتاب وسمو لغته، فالبيان يتناول النظر في النظم الفريد من نوعه في القرآن والصور البيانية الرائعة التي تشكلها سبائك الألفاظ، وعليه اهتم المفسرون مبكرا بهذا المنحى التفسيري منهم الجاحظ في كتابه نظم القرآن والكشاف للزمخشري ونظم الدرر في تناسق الآيات والسور للبقاعي وغيرهم.

أسلوب التفسير البياني. _ جمع الآيات ذات الموضوع الواحد وتدبرها. _ ترتيبها زمنيا حسب نزولها.

_ دراسة أسباب النزول والقراءات. _ دراسة عامة للبيئة المادية والمعنوية التي نزلت في ظروفها الآيات.

_ دراسة النص القرآني في معانيه المركبة باستعمال العلوم الأدبية من نحو وبلاغة لاستجلاء الصورة الأدبية الفنية والجمال القولي مع تأملات عميقة في التراكيب والأساليب[3].

التذوق الأدبي. يجد العارفون باللغة والأدب حسا مميزا عند تعاملهم وتأملهم في القرآن الكريم، وذوقا قد لا يستطيعون التعبير عنه، يقول عنه سيد قطب: "إن في هذا القرآن سراً خاصاً ، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها . إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن . يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير . وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن"[4]، ومن حق أي متدبر للقرآن أن يتحدث عن ذلك ما لم يقفز إلى الشطحات الصوفية والخرجات الباطنية، وللذات حقها في التأثر بالنص إذا لم تجحد المعاني الظاهرة، وعلى

---

[1] الوجوه هي المعاني المختلفة للكلمة في القرآن، والنظائر المواضع القرآنية للفظ الواحد بالمعنى الواحد.

[2] قواعد التفسير جمعا ودراسة، ص 247/1.

[3] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 106 (بتصرف).

[4] في ظلال القرآن، عن طريق بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص 111.

هذه الموازنة يقوم التذوق الأدبي للقرآن، فلا الذات تطغى على الموضع وتجعل التفسير هوى وأوهام، ولا الموضوع يطغى على الذات ويجعل التفسير علميا لا إحساس فيه.

يعتبر تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب نموذجا في هذا المجال، وعلى نحوه التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة عبد الرحمن "بنت اللشاطئ" التي عابت الانشغال في دروس الأدب بالمعلقات والنقائض والمفضليات ومشهور الخمريات والحماسيات عن الاتجاه إلى القرآن الكريم، وتتأسف على ترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير، وقلة مَن حاول أن ينقله إلى مجال الدراسة الأدبية الخالصة التي اقتصرت على دواوين الشعر، ونثر أمراء البيان. والتفسير البياني لا بأس به ما لم يَغفل جوانب القرآن المتعددة من أسرار الإعجاز في تشريعاته، وأحكامه ومبادئه للحياة الإنسانية الفاضلة.

المحاضرة الثالثة عشر: الإعجاز القرآني.

الإعجاز اللغوي والبياني.

إعجاز القرآن كان القرآن معجزا للعرب ذوي الفصاحة والبلاغة، تحداهم فلم يقدر أحد منهم على معارضته حتى دخلوا في دين الله تعالى، ومن أشهر الذين دخلوا في الإسلام بسبب إعجابهم بإعجاز القرآن عمر بن الخطاب وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وغيرهم .
مدار الإعجاز: (مضمونه). لقد كان موضوع الإعجاز الأساسي هو أسلوب القرآن و نظمه و بيانه، وهذا ما تحدى به القرآن الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، وهذا لا يعني عدم وجود جوانب أخرى من الإعجاز في القرآن الكريم، ففيه الإعجاز التاريخي والإعجاز الغيبي والإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي ..
ونلخص بعض الأمور التي لابد من معرفتها في موضوع الإعجاز :
1. قليل القرآن و كثيره في شأن الإعجاز سواء .
2. الإعجاز في أسلوب القرآن و نظمه و بيانه و خصائصه الفنية مباينة للمعهود من خصائص البيان البشري .
3. هذا التحدي مستمر إلى يوم القيامة و موجه إلى الثقلين أيضاً .
ترجمة القرآن : الصحيح في هذه المسألة التي كثر الأخذ و الرد فيها أن ترجمة القرآن أمر مستحيل، لأن أي نص بليغ تتعذر ترجمته في أي لغة من لغات العالم فما القول بالكلام الإلهي المعجز، و أما ترجمة معاني آياته بغير اللغة العربية فأمر لا مانع منه بل إنه واجب و لكنه لا يسمى قرآنا بحال من الأحوال .

المحاضرة الرابعة عشر: الإعجاز الإخباري والتشريعي.

الإعجاز الإخباري: تطرق علماء القرآن والتفسير إلى هذا الوجه من الإعجاز باهتمام وقسموه إلى قسمين رئيسين، قال عنهما البيهقي: "في القرآن وجهان من الإعجاز:

أحدهما: ما فيه من الخبر عن الغيب ، وذلك في قوله عز وجل : (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(التوبة/33) وقوله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)(النور/55) وقوله في أول سورة الروم (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)(الروم/3) وغير ذلك من وعده إياه بالفتوح في زمانه وبعد زمانه ثم كان كما أخبر ... والآخر : ما فيه من الخبر عن قصص الأولين ... ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ كتاباً ولا يخطه ، ولا يجالس أهل الكتاب للأخذ عنهم وحين زعم بعضهم أنه يعلمه بشر رد الله ذلك عليه فقال: (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)(النحل/103)[1].

وفي كلتا الحالتين فالإعجاز إعجاز غيبي، فالخبر عن المستقبل غيب، والحديث عن السابقين غيب.

[1] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410ه، ص 158/1.

فالإخبار بالماضي وبالغيب وجه من وجوه الإعجاز الظاهرة في القرآن، وكان كفار قريش حريصين على تكذيب القرآن بكل الطرق الممكنة، كالتشكيك في صحة الخبر أوالادعاء بأنهم علموا مصدره أو تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال في ظنهم، أو يذهبون إلى أهل الكتاب يسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف وأهل الكهف وذي القرنين، قالوا (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا)(الأنفال/31) ... لكن كل هذه الطرق لم تفلح في الوقوف أمام هذا النوع من الإعجاز القرآني، كيف يكون ذلك ومن علم الغيب الحديث عن الله وصفاته وملائكته ورسله وعن الكون بما فيه وعن القيامة بما فيها، وعن الماضي كله والمستقبل كله، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)(الجن/26،27).

مثال عن الإعجاز الإخباري: قال تعالى حاكيا عن قول فرعون: "فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (القصص/38) في الآية خبر عن فرعون حيث حدد لهامان مادة هذا البناء وهي الطين الموقود المحروق وهو ما يسمى بالآجر، و هذا يعتبر من الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم، لأن الاعتقاد السائد ظل عند المؤرخين أن الآجر لم يظهر في مصر القديمة قبل العصر الروماني وذلك حسب رأي بعض المؤرخين، و ظل هذا هو رأي المؤرخين إلى أن عثر عالم الآثار "بتري" على كمية من الآجر المحروق بنيت به قبور فرعونية، وأقيمت به بعض من أسس المنشآت ترجع إلى عصور الفراعين رعمسيس الثاني و مرنبتاح وسيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشر (1308_ 1184 ق. م) و كان عثوره عليها في : "نبيشة " و " دفنه " غير بعيد من بي رعمسيس (قنطير) عاصمة هؤلاء الفراعين في شرق الدلتا.

الإعجاز التشريعي. الإنسان مدني بالطبع، فهو في حاجة إلى غيره، وغيره في حاجة إليه، وتعاون الإنسان مع أخيه الإنسان ضرورة اجتماعية يفرضها العمران البشري. وكثيرًا ما يظلم الإنسان أخاه بدافع الأثرة وحب السيطرة، فلو تُرِك أمر الناس دون ضابط يحدد علاقاتهم، وينظم أحوال معاشهم ويصون حقوقهم ويحفظ حرماتهم لصار أمرهم فوضى ولذا كان لا بد لأي مجتمع بشري من نظام يحكم زمامه ويحقق العدل بين أفراده. وقد عرفت البشرية في عصور التاريخ ألوانًا مختلفة من المذاهب والنظريات والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل، ولكن واحدًا منها لم يبلغ من الروعة والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي.

إن القرآن يبدأ بتربية الفرد؛ لأنه لبنة المجتمع ويقيم تربيته على تحرير وجدانه، يحرر القرآن وجدان المسلم بعقيدة التوحيد التي تُخَلِّصه من سلطان الخرافة والوهم، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات، حتى يكون عبدًا خالصًا لله، يتجرد للإله الخالق المعبود، ويستعلي بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، ويؤكد القرآن الكريم وحدانية الله بالحجج القاطعة التي تقوم على المنطق العقلي السليم. فلا تقبل الجدال والمراء: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} أي السماوات والأرض، وإذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات، وكل عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد ولكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح الجماعة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والجماعة واجبة على الرأي الراجح، والذي يُصلِّي منفردًا لا يغيب عن شعوره آصرة القربى بينه وبين الجماعة الإسلامية في أقطار الأرض؛ لأنه يعلم أنه في تلك اللحظة يتجه وجهة واحدة مع كل مسلم على ظهر الأرض، يؤدي فريضة الصلاة، ويستقبل معه قِبلة واحدة، ويدعو بدعاء واحد، وإن تباعدت بينهم الديار.

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح وعبادة المال والحرص على الدنيا، وهي مصلحة للجماعة، فتقيم دعائم التعاون بين الأغنياء والمحرومين، وتشعر النفس بتكامل الجماعة شعورًا يخرجها من ضيق الأثرة والانفراد. والحج سياحة تروّض النفس على المشقة، وتفتح بصيرتها على أسرار الله في خلقه، وهو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد، فيتعارفون ويتشاورون. والصيام ضبط للنفس، وشحذ لعزيمتها، وتقوية للإرادة، وحبس للشهوات، وهو مظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهرًا كاملًا على نظام واحد في طعامهم. كما تعيش الأسرة في البيت الواحد، وحض القرآن على الفضائل المثلى التي تروض النفس على الوازع الديني، كالصبر والصدق والعدل والإحسان والحلم والعفو والتواضع.

ومن تربية الفرد ينتقل القرآن إلى بناء الأسرة؛ لأنها نواة المجتمع، فشرع القرآن الزواج استجابة لغريزة الجنس وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر نظيف، ويقوم رباط الأسرة في الزواج على الود والرحمة والسكن النفسي والعِشْرة بالمعروف، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة، والوظيفة الملائمة لكل منهما: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}[الروم/21].

ثم يأتي نظام الحكم الذي يسود المجتمع المسلم، وقد قرَّر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية في أصلح أوضاعها، فهي حكومة الشورى والمساواة ومنع السيطرة الفردية، وهي حكومة تقوم على العدل المطلق الذي لا يتأثر بحب الذات، أو عاطفة القرابة، أو العوامل الاجتماعية في الغِنَى والفقر، والتشريع في الحكومة القرآنية ليس متروكًا للناس، فقد قرره القرآن، والخروج عنه كفر وظلم وفسق.

وقرر القرآن صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعِرض، والمال، والعقل, ورتب عليها العقوبات المنصوصة، التي تُعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود، وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم، وهي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية.

وخلاصة القول: إن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه التشريعي قرينًا لإعجازه العلمي وإعجازه اللغوي إلى الأبد. ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالَم أثرًا غيَّر وجه التاريخ.